جامعة عبد الرحمان ميرة-بجاية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة

بلاغة الإنشاء في ترسّل الجاحظ

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:

عمران حسيبة

إشراف الأستاذة:

فريدة مولى

السنة الجامعية:2017-2018

كلمة شكر

في البداية أشكر الله تعالى الذي منحني الإرادة والصبر من أجل إتمام وإنجاز هذا العمل المتواضع

*وأتقدّم بالشكر الجزيل والامتنان الخالص للأستاذة المشرفة *فريدة مولى*التي قدّمت لي يد المساعدة بتوجيهاتها ونصائحها وكتبها.*

ومع فائق الشكر والاحترام لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل.

إهداء

إلى أعز مخلوق في الوجود وأعذب كلمة يلفظها اللسان، إلى إمرأة حبها أكبر من أن تحويه قلوب البشر، إليك أمي ثم أمي ثم أمي

إلى من لقّني ببردته، وعلّمني كيف يعشق الكتاب، إليك أبي

إلى من قاسمني الرحم والاسم أختي وزنة وأخي مناد

وإلى الكتكوت الصغير يوداس

وإلى بنات أخي كاتية وسيلية وحنان

إلى زوجي العزيز سمير

وإلى أعز صديقاتي سيليا و إلهام وطاوس

وإلى كل من حمل لي بذرة حب في قلبه وكل من منحني فرصة كي أتعلّم

مقدمة

شهد الأدب العربي في القديم تنوعا في النتاج الشعري والنثري، فكما اشتهر في العصر الجاهلي شعر الفخر والحماسة والهجاء والغزل والمدح، تنوّع أيضا الأدب النثري فكتبوا القصص والأمثال والحكم والوصايا ،ومن المعروف أن النثر العربي شهد منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا تقلبات كثيرة، تجلّت في مختلف الأساليب والأصناف والفنون النثرية، حيث أن بعض الفنون النثرية قد انقرضت وتغيّرت أشكالها، ولكن فنونا جديدة تطورت مثل الرواية والقصّة والمقال وقد تطوّر النثر الفني من عصر إلى عصر، إذ كان في الجاهلية يمتاز بجريانه مع الطبع، فليس فيه تكلّف ولا زخرف ولا غلو يسير مع أخلاق البدوي وبيئته، وتلوّن في العصر الإسلامي بجميع ألوان الحياة الجديدة من خطابة ورسائل وعهود وقصص ومناظرات، وأما في العصر الأموي فقد كانت الكتابة ضرورة ملحة في إدارة شؤون الدولة والمجتمع، كما كانت ضرورة اجتماعية لا غنى عنها في المعاملات، وأخيرا شهد العصر العباسي تعدّدا في الأشكال النثرية وتنوعا في فروع النثر من نثر علمي وفلسفي وتاريخي، وتطورت فيه الكتابة وتنوعت فيه الفنون النثرية مثل الخطب والمناظرات والمقامات بالإضافة إلى الرسائل.

وقد وقع اختياري على فن الترسّل في هذا العصر لما اكتساه هذا الموضوع من أهمية بالغة في كتب البلاغة والنقد وكتب التراث بشكل عام، وقد كان لهذا الفن نكهة خاصة وميزة لافتة عند أحد أعمدة النثر العربي وهو الجاحظ ،فعزمت أن أسلط الضوء على هذا العلم من أعلام النثر العربي لغرض تبيان طريقته في الكتابة واستكشاف الظواهر البلاغية في رسائله وفنياته وبلاغته في الإنشاء.

وقد تناولت دراسات سابقة وهي عديدة وجادة هذا الموضوع بالدرس والفحص كدراسة أنس المقدسي في كتابه تطوّر الأساليب النثرية في الأدب العربي، ودراسة فوزي السيد عبد ربه في كتابه المقاييس البلاغية عند الجاحظ ونجد أيضا محمّد علي زكي صبّاغ في كتابه البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ.

وللإحاطة بكل الجوانب المهمة التي يدور حولها البحث طرحت هذه الإشكالية التي تتمحور في مجموعة من الأسئلة: فيما تكمن مزايا الكتابة الإنشائية وبلاغتها في رسائل الجاحظ؟ وهل تتوفر على الشروط التي وضعها في نظرياته في كتب البلاغة؟ وهل كان الجاحظ موفقا فيها أو مخفقا؟ وهل كان ترسل الجاحظ ترسلا متميزا رفيع المستوى يختلف عن أدباء عصره؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسّمت البحث إلى مدخل عن حياة الجاحظ ومؤلفاته وفصلين يتفرع كل فصل إلى ثلاثة مباحث، عالج الفصل الأول الكتابة الإنشائية عند العرب ،إذ تطرق المبحث الأول إلى الكتابة الإنشائية في العصر الإسلامي والأموي وتناول المبحث الثاني الكتابة الإنشائية في زمن الجاحظ وهو العصر العباسي، أما المبحث الثالث تناول مذهب الجاحظ النظري في بلاغة الإنشاء من خلال مؤلفاته المشهورة، أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي مخصص للكتابة الإنشائية عند الجاحظ، ضم المبحث الأوّل خصائص الإنشاء الجاحظي، أما المبحث الثاني تناول ترسّل الجاحظ وفنّياته، فمثّلت بنماذج من رسائله، أما المبحث الثالث فقد عالج بلاغة السخرية في ترسل الجاحظ بعرض نماذج من أدبه الساخر.

وختمت البحث بمجموعة من النتائج المتوصل إليها بعد الإجابة عن الأسئلة المحورية.

أما عن المنهج المتبع فقد كانت مقاربتي مقاربة وصفية تحليلية إذ تعرضت لتحليل النماذج بعد وصف الظواهر المدروسة.

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها : كتب الجاحظ ومؤلفاته المشهورة في مجال البلاغة كالبيان والتبين وبعض رسائله كرسالة التربيع والتدوير إلى جانب بعض المراجع القيّمة كالمقاييس البلاغية عند الجاحظ لفوزي السيد عبد ربه، والسخرية والفكاهة في النثر العباسي لنزار عبد الله خليل.

وقد واجهتني بعض العراقيل أثناء انجاز هذا البحث والتي آلت دون أن يخرج البحث بالصورة التي تمنيتها اتساع مشارب البحث وتنوّعه، وضيق الوقت المخصص لمعالجته من كل جوانبه إلى جانب عدم الحصول على بعض المراجع المتخصصة والصعوبة الأكبر الحرص والخشية ألا أوفي البحث حقه من الدّرس والتحليل.

وقد تم البحث بعون الله وفضله وفضل بعض الأيادي التي مدت لي وشجعتني وأعانتني على تجاوز كل العقبات، فلها كل الشكر والامتنان، وأخص بالذكر أستاذتي المشرفة على هذا الجهد المتواضع.

مدخل:

حياة الجاحظ وتأليفه:

يعد الجاحظ علما بارزا من أعلام الكتابة الإنشائية في القرن الثالث الهجري، وكاتبا مجيدا ومكثرا في العصر العباسي، هذا العصر الذي يعد عصر الإسلام الذهبي حيث تثبت قواعد الدولة العباسية وأصبح لها شأن عظيم وسلطان مهيب في شتى الميادين، والجاحظ ذو أدب غزير وقلم رفيع من خلال ما تركه من مؤلفات لا تزال هي عمدة الباحث إلى يومنا هذا.

الجاحظ الكناني هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي من بني كنانة من خزيمة والد النضر أبي قريش ،من أصل عربي عريق وهو من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد بالبصرة من أسرة فقيرة معدمة تعيش في ضنك من العيش، وتوفي والده وهو طفل صغير فكفلته أمه التي لا تملك شيئا، فأخذ يعمل ويكد في سبيل الحصول على ما يسد الرمق، وكان الصبي الفقير يعيش في بيئة تفيض بالثراء والناس من حوله يعيشون في ترف و نعيم، فوجد نفسه في هده البيئة فقيرا مشوه الخلقة تقتحمه أعين الناس لقبحه ، وهذا الإحساس كان كافيا في إرهاف حسه وشحذ مشاعره فلم يجد سبيلا إلا التعليم يعوض هذا النقص، و أدرك في نفسه حماسا وطموحا في سبيل العلم . 1

"وقد اشتهر كاتبنا بلقبه أكثر مما اشتهر باسمه الصحيح، فهو الجاحظ وهو الحدقي وذلك بالنظر لجحوظ عينيه وبروز حدقتيه، وليس في هذا ما يعيب أمير البيان العربي أو ينقص من قدره، وكان الجاحظ يختلف إلى المساجد ومنازل العلماء وإلى سوق المربد الشهيرة حيث تلقى أفانين الخطابة عن بلغاء العرب وفصحائهم، كما كان يستأجر دكاكين الوراقين أثناء الليل لتمضية وقته في المطالعة". 2

1-ينظر: فوزي السيد عبد ربه،المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2005، ص21.

2-فوزي عطوي: الجاحظ و دائرة معارف عصره، ط2، دار الفكر العربي، بيروت، 1998،ص12.

تتلمذ الجاحظ على يد جلة من الأساتذة ،تعددت ثقافتهم و تنوعت مشاربهم و كان لهم الأثر الذي لا يجحد على ثقافته وتكوينه العلمي، من أمثال أبي عبيدة، والأصمعي، وأبي يزيد الذي أخذ عنهم اللغة وسمع منهم مناحي العرب وأساليبهم في القول، و أبي الحسن الأخفش الذي أخذ عنه النحو، والنظّام الذي أخذ عنه علم الكلام .1

" ورّث أبو عثمان أمته و أمم العلم مؤلفات عديدة، قلّما نجد رجلا مثله في تعددية طاقاته خلّف مثلها، وهذه التركة ثروة للناطقين بالضاد، ولوحة متقنة مبدعة، صادقة لصورة العصر الذي عاش فيه.طاولت عيناه كل شيء تقريبا فلم يدع بابا إلا ولجه، ولا موضوعا إلا طرقه انقادت إليه اللغة انقيادا، و أطاعته ألفاظها، فأحسن قيادتها و تدبيرها " .2

اعتبر الجاحظ الكتابة شيئا مستقلا عن الذات لا تابع لها، رأى الكلام نابعا عن رغبة في النفس وحاجة ملحة لراحتها فذاب في الواقعيةّ –مدرسة مستقلة جاحظية– عالج فيها الأمور الموضوعية ومزجها بالجد والهزل، فجاءت جديدة عصرية وانتشرت بين الناس، فضاقت قاعات العلوم على رحبها، ونستطيع القول أن آثار الجاحظ على جانب كبير من الأهمية في تاريخ الفكر العربي، لأنها صورة واقعية لعصره. 3

ظل الجاحظ مكبا على العلم والتأليف ينتقل في سبيل ذلك بين بغداد والبصرة، وهو من أغزر المؤلفين إنتاجا بين مؤلف كبير ورسالة صغيرة، فقد طرق وعالج مختلف العلوم والفنون فكتب عن الأدب والشعر والديانات والعقائد والنبوة والمذاهب الفلسفية الأخرى، وبحث في السياسة والاقتصاد والطب والفلك والموسيقى وكتب في الجواري والغلمان وغير ذلك مما يتناول الحياة الاجتماعية والأدبية والعلمية في عصره وقبل عصره.4

1–ينظر: فوزي السيد عبد ربه،المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2005، ص23.

2–محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ط1، المكتبة العصرية،1998 بيروت،ص42.

3– ينظر: المرجع نفسه،ص43.

4– ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص33.

ولقد ملأ المكتبة العربية بنحو ثلاثمائة وستين مؤلفا في معارف شتى، وكان يحس بالمتعة واللذة وهو يعكف على تأليف كتاب أو إخراج مصنف بالنظر إلى ما يعانيه من العلل والأمراض التي لازمته دهرا طويلا.1

يقول في كتابه الحيوان:"وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب، والرابعة أني لو تكلفت كتابا في طوله وعدد ألفاظه ومعانيه، ثم كان من كتب العرض والجوهر والصفرة والتوليد المداخلة والغرائز لكان أسهل وأقصر أياما وأسرع فراغا".2

وضع الجاحظ عددا كبيرا من المؤلفات القيمة التي أورد أسماء الكثير منها في مقدمة كتاب الحيوان، ولعل ذكرها هناك يكون بمثابة الفهرس لها؛ ولكن الثابت أن الجاحظ وضع بعضا من الكتب الأخرى في تاريخ لاحق لتاريخ صدور"الحيوان" فكان منطقيا بالتالي ألا يرد ذكر هذه الكتب اللاحقة في كتاب سابق عليها، أما من أهم كتبه التي حققها فهي:

1-كتاب الحيوان:و هو الأول من نوعه في الأدب العربي، يمتاز بكونه موسوعيا جامعا يعكس الثقافة المترامية الأبعاد التي امتاز بها الجاحظ ويمزج الهزل بالجد ويعتمد الأسلوب الاستطرادي الذي يقصي الملل عن النفس و يصونها من السأم في المطالعة.3

وفي قوله:"و عبتني برسائلي و بكل ما كتبت به إلى إخواني و خلطائي من مزج و جد، و من إفصاح و تعريض، و من تغافل و توقيف، و من هجاء لا يزال ميسمه باقيا، و مديح لا يزال أثره ناميا، و من ملَحٍ تضحك، و مواعظ تبكي." 4

1- ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص33.

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:الحيوان، تح عبد السلام محمد هارون، ج4، ط2، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي بمصر،1965، ص361.

3- ينظر:فوزي عطوي ،الجاحظ دائرة معارف عصره، ص49.

4- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان،ج1، ص7.

وقال:"هذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم، و تتشابه فيه العرب والعجم، لأنه وإن كان عربيا أعرابيا، وإسلاميا جماعيا، فقد أخذ من طرف الفلسفة، وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة، وأشرك بين علم الكتاب والسنة، وبين وجدان الحاسة، وإحساس الغريزة، ويشتهيه الفتيان كما تشتهيه الشيوخ، ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك، ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه المجد ذو الحزم، ويشتهيه الغفل كما يشتهيه الأريب، ويشتهيه الغفل كما يشتهيه الفطن."1

2-البيان والتبيين:يعتبر هذا الكتاب متعة للعقل ونزهة للخاطر وعبرة ودرس لكل من عالج صناعة الحرف، وجاء هذا الكتاب مرآة صادقة تعكس ثقافته الواسعة المحيطة بألوان العلم والأدب والفلسفة والنقد الأدبي وذلك بالإفصاح عن مكنونات اللغة والكشف عن أسرارها.2

3-البخلاء:يعتبر خلاصة نفسية للجاحظ و صفوة تجاربه ومرآة ثقافته الاعتزالية، وتقتصر معلوماته على طرائف البخلاء، و نوادر الشحاذ وأخبار الأدباء و الشعراء من عرب وعجم "3

"وفضلا عن هذا فإن للجاحظ عددا كبيرا من الكتب الصغيرة التي يسميها "الرسائل" تتناول مواضيع مختلفة، وإن المطّلع على رسائله على كثرة تنويعها ووفرة ألفاظها، يدرك أن مؤلفها لم يقصد الجمع والرواية، والسرد والحكاية ، ولم يكن همه إظهار مقدرته اللسانية وصنعته الكلامية بقدر ما يهدف إلى ابتكار البديع للناس عموما، فكان يمزج بين الجد والهزل، والمعرفة بالطرفة اللطيفة ،ويعرج على الفكاهة، تقربا إلى قرائه واسترضاء أحبته، وهذا مع حرصه الشديد على أن يكتب للعارفين العالمين في علوم بديعه ومقامات رفيعة، مما جعل رسائله وكتبه في متناول العامة والخاصة ".4

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، ج1، ص11.

2-ينظر :فوزي عطوي ،الجاحظ دائرة معارف عصره، ص61

3- المرجع نفسه:ص73.

4-رحاب خضر عكاوي:المنتخب من رسائل الجاحظ،دار الفكر العربي،بيروت، 1996،ص9.

أخرج الجاحظ كتبه التي تشعبت موادها وتنوعت موضوعاتها ومسائلها ولم يكتب إلا عن رغبة واقتناع وليس في الإمكان حصر ما ذهب من كلمات الجاحظ مذهب الأمثال ، فإن كتبه ورسائله حافلة بهذا النوع من الكلام، وحشدت بهذا الضرب من القول الموجز والبيان المعجز فمن ذلك شذور من كلماته منها: "و ليس بين حال المتنافسين، وبين حال المتحاسدين، إلا حجاب رقيق، وحجاز ضعيف، والأنبياء مندوحة من هذه الصفة، في ضد هذه الشيمة." 1

وقال"فالإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه، ولا بد أن تكون كتبه أكثر من سماعه، ولا يعلم، ولا يجمع العلم، ولا يختلف إليه، حتى يكون الإنفاق عليه من ماله، ألذ عنده من الإنفاق من مال عدوه." 2

ومن خصائص ومميزات أسلوب الجاحظ وأقوى سماته "أنه يبسط العبارة و يرقق من حواشيها، حتى لتظن أنه قد أسف بها و أنه هبط عن مستوى البلغاء، فإذا تأملتها أفضل تأمل، ثم حاولت احتذاءه فيها، رأيته منك في ذؤابة الثريا...،فيقال في الأساليب العربية، إذا كانت قد بلغت أعلى طبقات البلاغة وأسمى منازل البيان، وكانت واضحة المعاني وسهلة الألفاظ، نقية الكلمات :هذه عبارة جاحظية. والرسالة جمعت حر الكلام إلى التبسط في المعاني وكانت كثيرة الافتنان، آخذة فيها الموضوعات بعضها بذوائب بعض، يتنقل فيها القارئ من فن إلى فن، ومن لون إلى لون، ومن معنى مولد إلى معنى مبتكرو هذا أدب جاحظي".3

1-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، ج4، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ص29.

2-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، ج1، ص55.

3- حسن السندوبي،أدب الجاحظ، ط1، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1931،ص202.

وقد أصيب الجاحظ في أواخر حياته، بفالج نصفي أقعده عن السعي فعاد إلى البصرة، مسقط رأسه يمضغ داءه ويقطع أيامه بالمطالعة واستقبال الراغبين في أدبه وعلمه، وظل على هذا الحال من المرض والألم حتى وقعت عليه مجلدات الكتب التي اعتاد أن يضعها حوله قائمة كالحائط، فمات في المحراب الذي أحبه وبحر فيه طول حياته، واختتمت بذلك حياة رجل شاء القدر أن يكون موته طريفا كما كان طريفا في حياته.1

1- ينظر :فوزي السيد عبد ربه،المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص3.

الكتابة الإنشائية

عند

العرب

1-الكتابة الإنشائية في صدر الإسلام:

ظهر الإسلام في جزيرة العرب، فشغل أهلها في حياة الرسول وبعده وفي معظم أيام الراشدين بالفتوح والجهاد والأسفار، وقد جاء الإسلام بالقرآن والحديث، فأخذا بمجامع قلوب المسلمين واستقرا من أذهانهم وغيّرا من عاداتهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم ، فظهر أثر ذلك جليا في علومهم وآدابهم.

إن القرآن مظهر الحياة العقلية والحياة الأدبية عند العرب، وهو واضع النثر الفني ومنبع المعاني والأساليب والمعارف التي شاعت في أدب ذلك العصر، نزل بأسلوب بديع لا عهد للآذان ولا للأذهان بمثله، فلا هو موزون مقفى ولا هو سجع يتجزأ فيه المعنى في عدد من الفقر،إنما هو آيات مفصلة مزاوجة، يسكت عندها الصوت، ويسكن الذهن لاستقلالها بالمعنى وانسجامها مع روح القارئ.1

ويعد والقرآن المثال الأعلى للبلاغة، سواء في إيجازه أو قوة تعبيره، أو في ائتلاف ألفاظه وانسجام كلماته، و يمتاز برقته وسهولته، وبعده من الغريب المستهجن، وإنشاء القرآن يرافق أغراضه في الشدة واللين فهو في المواقف العاطفية، مواقف الوعد والوعيد، فيه لفظ مكرر لزيادة التهويل، أو لزيادة التقرير، كثير السجع، قوي الرنة عند المقاطع، وهو في غير المواقف العاطفية، طويل الآيات وقليل السجع، وللقرآن فضل عظيم على اللغة العربية فهو الذي هذّب عباراتها، ووحد لهجاتها، ونشرها شرقا وغربا بانتشار الدين الإسلامي، وسحر الناس ببيانه فحفظوه، وتأثروا بأسلوبه، وظهر هذا التأثير في الشعر والنثر معا لاسيما الإنشاء الخطابي.2

1-ينظر:أحمد حسين الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، دت، ص76.

2-ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة،2012، ص356.

التغيير الذي أحدثه الإسلام في آداب اللغة:

إن التغيير الذي أحدثه الإسلام في آداب الجاهلية يرجع إلى ثلاثة أوجه:

-أنه أبطل بعض تلك الآداب، الكهانة و فروعها.

-أنه نوّع البعض الآخر، كالعلوم الشرعية و اللسانية.

-أنه أحدث آدابا جديدة لم تكن من قبل، أكثرها في الشعر والخطابة. 1

الظواهر البلاغية في الأسلوب القرآني:

إن القرآن هو العامل الدافع لما صنعه العلماء من علوم المعاني والبيان والصرف والنحو ناهيك بكتب التفسير واللغة والتشريع وسواها ومن أهم ظواهر بلاغته:

أ-**الإحتباك ودقة الإشارة:** " ومعنى الإحتباك الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب بسد ما بين خيوطه من الفرج، وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع بقاء الحسن والرونق، وأما دقة الإشارة فهي الإيجاز أو عرض المعنى بأقل ما يكون من الألفاظ و العبارات ".2

ب- حسن الإيقاع: ويراد به رصف الكلام رصفا متناسب الأجزاء، ويحصل من تلاؤم الألفاظ والعبارات تلاؤما ترتاح إليه النفوس. 3

ج-روعة الانتقال:و يراد به الوثوب من معنى إلى معنى أو من حالة إلى حالة وثوبا يحرك النفس ويزيد من روعة المعنى وأكثر ما يكون ذلك فيما يطلق عليه العلماء اسم الالتفات وهو الخروج من صيغة إلى صيغة.4

1- ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012،ص 225.

2-أنيس المقديسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص53.

3-ينظر:المرجع نفسه،ص55.

4-ينظر:المرجع نفسه، ص56.

د-جمال التمثل:ويراد بالتمثل تفسير المعاني الموهوبة بالصور المشاهدة أو كما قال بعضهم إبراز المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في صورة المتيقن، والغائب كأنه مشاهد وهو يؤثر في القارئ ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه.1

كان النثر هو المدافع الأقوى عن مبادئ الإسلام وأفكاره الذي احتضن النثر احتضانا قويا فغدا في مكانة أرقى وأعظم بشكلين نثريين بارزين هما: الخطابة والكتابة.

أ-الخطابة:

" إن الخطبة تعد ضربا من الإلقاء الذي يحدده جوهر علاقة الخطيب بجمهوره، مما يعتمد على ذاكرة الخطيب ويقظة المتلقي في آن واحد، وهي تعتمد أساسا على الصيغ الخطابية المميزة لهدا الإلقاء حتى يضمن الخطيب عدم انصراف جمهوره إلا إليه، مما يدفعه إلى الوعي بقسمات اللغة الخطابية ومحاولة التنويع فيما بينها بين أساليب إنشائية وخبرية إلى توزع الضمائر وصيغ الالتفات البلاغي، إلى توظيف صيغ الأمر والنهي، إلى طرح الأدلة والإكثار من الحجج، وتوالي البراهين، إلى الاستعانة بالمواقف التاريخية المؤكدة لمقولاته، وإلى التناص مع الآيات القرآنية المزينة لكلامه، ومحاولة دعم الموقف الخطابي بأرصدة الأمثال والحكم وأخبار القدماء".2

كان ظهور الإسلام بالدعوة العظمى من أهم الأسباب التي بلغت بالخطابة غاية كمالها، فإن الدعوة إلى الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقمع الفتن، كل أولئك من أغراض الخطابة، وأهم ما يميزها في هذا العصر عذوبة ألفاظها، ومتانة أسلوبها وقوة تأثيرها واقتباسها من القرآن، وانتهاجها منهجه في الإرشاد والإقناع، وابتدائها بحمد الله والصلاة على رسوله.3

1- ينظر:أنيس المقديسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، 57.

2- مي يوسف خليف:النثر الفني بين صدر الإسلام و العصر الأموي، دار قباء، القاهرة، ص 27.

3-أحمد حسين الزيات:تاريخ الأدب العربي، ص176.

خطب الرسول:

إن أقوال رسول الله وخطبه هي المصدر الثاني للتشريع والنصح وتنظيم المجتمع الإسلامي وهداية الناس في دنياهم بالعمل الصالح تمهيدا لحياة أخرى تزخر بالنعيم وحسن الجزاء، وكانت أول خطبة له حطب بها قومه بمكة يدعوهم إلى الدين الجديد، والخطبة سطورها قليلة، تعمد إلى أسلوب الترهيب الرفيق في سمو من البلاغة، التي يجد فيها المرء نفسه متقبلا لها مؤمنا كان أو مشركا، والخطبة بعيدة عن زخرف اللفظ، ذلك أن ما حوت من المعاني لم يترك مكانا لزخرف اللفظ، قال صلوات الله وسلامه عليه:" إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم...وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، و لتحاسبن بما تعملون ".1

إذن فإن الخطابة في صدر الإسلام تمتاز بطلاوة أسلوبها، وقصر جملها، وتخير ألفاظها والخطب على ضربين منها الطوال التي كثر فيها الإطناب ومنها القصار التي غلب عليها الإيجاز مع بلوغ القصد، وقصراها أكثر شيوعا من الطوال وكانت تبدأ بالحمدلة، وكثيرا ما تعتمد على الآيات لما للقرآن من التأثير في نفوس المسلمين.

ب-الكتابة:

نوَه الإسلام بالكتابة وفضلها منذ أول آية نزلت على الرسول الكريم، وعمل جاهدا على نشر الكتابة بين أصحابه، وكان للنبي كتّاب كثيرون مهمتهم كتابة الوحي وكتابة الرسائل النبوية للأمم المجاورة وملوك فارس والروم ومصر والحبشة، وملوك حمير وهمدان وبني كلب وغيرهم وشملت الكتابة في عصر صدر الإسلام مجالات جديدة لم يكن يعرفها العرب قبل الإسلام كالمعاملات والبيوع والعقود والمواثيق وكل ما من شأنه تنظيم أمور المسلمين.2

1-ينظر: مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، 1993، ص65/64.

2- ينظر:نسرين طاهر ملك، "النثر الجاهلي والإسلامي والأموي، دراسة تحليلية"، مجلة أيكتا اسلاميكا، م1،ع1، 2014، ص115.

اللغة والإنشاء في صدر الإسلام:

كان لظهور الإسلام تأثير كبير في اللغة العربية وأساليبها وألفاظها لتشرب قرائح المسلمين روح القرآن، وحفظهم كلامه وإعجابهم به، وطبيعي أن الكاتب تتكيف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظه من أشعارها وأمثالها وأساليبها، ومن الطبيعي أن تظهر ملامح وأساليب القرآن في لغة المسلمين شعرا ونثرا كتابة وخطابة، يرجع هذا التغيير وفي الأسلوب والألفاظ .

أ-في الأسلوب:

تولد في صدر الإسلام ضرب من الإنشاء من أبلغ ما يكون، وأحسن الأمثلة عليه مخاطبات الخلفاء والقواد، وكلها من السهل الممتنع، ككتاب عمرو بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، لما بعث به إلى فتح مصر، ثم تخوف فكتب إليه"بسم الله الرحمان الرحيم، من الخليفة عمرو بن الخطاب إلى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته، أما بعد فإن أدركك كتابي هذا وأنت لم تدخل مصر فارجع عنها، وأما إذا أدركك وقد دخلتها أو شيئا من أرضها...فامض واعلم أني ممدك".هذا أسلوبهم فيما يكتبونه أو يقولونه من المخابرات السياسية أو الخطب الحماسية أو العهود أو العقود حتى إنك إذا قرأت لهم رسالة تبين أسلوب صدر الإسلام فيها.1

ب-في الألفاظ:

أما تأثير القرآن الكريم في ألفاظ اللغة فهو ظاهر فيما دخلها من الألفاظ الإسلامية، مما اقتضاه الإصلاح الديني أو الشرعي، وأكثر هذه الألفاظ موجودة قبل الإسلام، لكنها كانت تدل على معان أخرى فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة، فلفظ مؤمن كان يدل على الأمان أو الإيمان، فأصبح بعد الإسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر.2

1- ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص235.

2-ينظر: المرجع نفسه ص 236.

ومن مميزات نثر صدر الإسلام ما يلي:

- ✓ أن هذا النثر الإسلامي الذي وصل إلينا أكبر مقدارا و أوسع مدى عن النثر الجاهلي إلى جانب أحاديث رسول الله(ص)، خطب الرسول و خطب الخلفاء الراشدين وخطب قادة الجيوش، بالإضافة إلى الروايات التي حملت إلينا قدرا كبيرا من اللغة و الأدب والتاريخ والقصص.
- ✓ إن هذا النثر شديد التأثر في أغراضه و أساليبه بالقرآن الكريم من وجهين: كان في الدرجة الأولى أفصح ألفاظا و أسهل تركيبا، و أعذب تعبيرا، وأما من الجهة الثانية فقد كان أمتن سبكا، و أبرع دلالة، و آنف ديباجة لأن الناثرين كانوا قد تأثروا ببلاغة القرآن الكريم التي كانت تجري في أساليب عديدة بتعدد الأغراض، من ترغيب وترهيب، من وعد ووعيد، ومن سرد و قصص، و من وصف وتشريع.1
- ✓ يمتاز عموما بالبعد عن التكلف السجع و البديع .
- ✓ الإيجاز أو حبك الكلام حبكا يقل فيه الحشو و الزوائد .
- ✓ التلميح و هو الإشارة إلى المعنى دون التبسط في إيضاحه.2

1- ينظر:عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط4، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص254.

2-أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص85.

لقد تقاسم النثر الفني في العصور القديمة جنسان أدبيان هما: الخطب والرسائل، و قد انصرفت الأذهان إليهما دون غيرهما نظرا لما يتميزان به من حضور متميز، وما يتبوآنه من منزلة رفيعة بين أجناس الأدب وفنونه، هذا بالإضافة إلى ما لهما من وظائف في الحياة الأدبية والاجتماعية والدينية والسياسية والإدارية، وهكذا يندرج ضمن هذا النثر الفني ما يصطلح عليه بـ"أدب الرسائل" الذي يشكل جنسا أدبيا قائما بذاته، إذ تنضوي تحته هو الآخر أنواع من الرسائل المختلفة أسلوبا وموضوعا، والمتنوعة غرضا ومقصدا، والمتفاوتة جمالا وتأثيرا وهذا فضلا عما راكمه أدب الرسائل، عبر مراحل تطوره، من قواعد ومعايير وخصائص، ومن ثم أصبحت الرسالة صناعة ذات قواعد وأصول.

أدب الرسائل:

ينتمي أدب الرسائل إلى النثر الفني بشكل عام، فازدهار الأدب مرتبط في كثير من جوانبه بازدهار هذا النثر، فلقد كان في العصر الجاهلي بسيطا غلب عليه لون واحد هو الخطابة ولما جاء الإسلام قوى فن الخطابة وتنوعت أسبابه، فمنذ عهد الرسول بدأ الاهتمام بلون نثري جديد هو الرسائل فقد احتاج المسلمون إلى أن يكتبوا رسائل الرسول، لكنها رسائل كانت قصيرة تهدف إلى أداء فكري لا إثارة جمال فني.1

" فالرسالة قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا، وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة ومعان طريفة "2

1- ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، ط1،الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008،ص149.

2-عبد العزيز عتيق:الأدب العربي في الأندلس، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1976،ص448 .

وموضوعات أدب الرسائل متنوعة تنوع الرسائل ذاتها فهناك الديوانية والإخوانية، ثم الرسائل الأدبية، فالديوانية تعنى بالكتابة في شؤون الدولة كبيعة الخلفاء، وتولية الولاة والوصايا في تدبير السياسة والحكم للوزراء والحكام.1

وأما الرسائل الإخوانية فموضوعها التعبير عن المشاعر والعواطف والمواقف كالإخاء والاعتذار والاستعطاف، أما الأدبية فتتناول موضوعات في المعارف العامة. 2

خصائص أسلوب الرسائل في عصر صدر الإسلام:

استطاع نبي الإسلام أن يغير من نسيج العقل الجاهلي، ليظهر بمظهر الحضارة الإسلامية الوليدة، وبما أن الإسلام جاء للناس كافة فإن الرسول استقر به المقام في المدينة المنورة، وأخذ يرسل الرسائل لدعوة الإسلام، وكان لهذه الرسائل أسلوبها الخاص ومن هذه الخصائص:

1/ "غالبا ما تبدأ بالبسملة، ثم يأتي بعدها تعابير من قبيل: من محمد رسول الله أو من خليفة رسول الله أو من أمير المؤمنين، و قد تبدأ الرسالة باسم الرسول (ص) مباشرة مثل: هذا كتاب من محمد رسول الله، أما إذا كانت موجهة لغير مسلم فإن ما تستهل به هو: سلام على من اتبع الهدى، و تأتي بعد السلام مباشرة التحميدات مثل: فإني أحمد الله، وقد يرد فيها التشهد أيضا، أو يكتفي فيها بعبارة أما بعد."3

مثل: "من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابن الجلندي، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام.أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا و يحق القول على الكافرين".4

1- ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، ط1،ص152.

2-ينظر: المرجع نفسه، ص155 .

3- عمر عروة: النثر الفني أبرز فنونه و أعلامه، دط، دار القصبة للنشر، دت، ص 33.

4-أنيس المقدسي:تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،ص27.

2/ كانت الرسائل في العصر النبوي بعيدة عن التزويق والتصنع في سبك الألفاظ، ورصف الجمل والافتنان في المعاني، ولعل مرد ذلك يعود ذلك إلى أن طبيعة إنشاء تلك المكاتبات القائمة على الإملاء قد حال دون إجالة الفكر والتعامل في إنشائها، فكان المملي يؤدي غرضه دون كبير عناء في انتقاء الألفاظ وتفريغ المعاني، ويقصد إلى الغاية وفق ما يوجبه حال الخطاب.

3/ الاقتباس من آيات القران الكريم وتضمينها في مقدمة الرسائل، ويبدو ذلك واضحا في مكاتبات الرسول "ص" ولاسيما رسائله إلى أهل الكتاب خاصة ، والى من راسل من الملوك الأعاجم لدعوتهم إلى الدين الجديد ، ولعل تفسير ذلك انه (ص) قد اتخذ من تلك النصوص القرآنية المقتبسة شواهد بينة على صدق نبوته ، ودلائل واضحة على ما جاء به.1

4/تكثر فيها الإشارة إلى المعاني والبعد عن تكلف السجع أو البديع وهي أقرب إلى لغة المحادثة والتخاطب.2

5/تتابع العبارات في كثير منها بعطف أو غير عطف دون تكلف التعادل فيما بينها أو صحة التقسيم فيها كقوله: "بلغني كتابك الكذب والافتراء على الله، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى ".3

و قوله: "هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عاديا أن لهم الذمة وعليهم الجزية ولا عداء ولا جلاء.الليل مد والنهار شد، وكتب خالد بن سعيد ".4

1- ينظر:فاتن فاضل كاظم العبيدي، قسم اللغة العربية، محاضرة خصائص الرسائل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل ،17:18،2014.

2- أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص36.

3-المرجع نفسه: ص37 .

4- المرجع نفسه:ص38.

واضح من هذا كله أن الكتابة تطورت تطورا كبيرا في هذا العصر، فقد تعددت المواضيع التي تناولتها والتي لم يكن للعرب بها عهد قبل الإسلام، إذ أخذت تحمل مجموع النظم التي قامت عليها دولة الإسلام العتيدة، وكان الرسول عليه السلام هو ذلّلها لتحمل هذه النظم،وكان تأثر النثر بالإسلام أقوى قوة، فقد نزل فيه الذكر الحكيم المعجز ببلاغته، وألقى الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديثه وخطبه الرائعة، فقد تأثر المسلمون ببلاغة القرآن وفصاحته، فلانت أساليبهم وعذبت ألفاظهم، واقتبسوا منه في شعرهم ونثرهم، وأحيى فنونا أدبية جديدة.

الكتابة الإنشائية في العصر الأموي:

كانت الكتابة ضرورة إدارية ملحة لا غنى عنها في إدارة شؤون الدولة والمجتمع في المكاتبات والدواوين المختلفة، كما كانت ضرورة اجتماعية لا غنى عنها في المعاملات والحركة العلمية التي ازدهرت في العصر الأموي وتعاظمت في أواخره، ونتيجة لذلك كله، توسع انتشار الخط و استعمال الكتابة، إبان ذلك العصر توسعا عظيما نظرا لإقبال الناس على طلبه، وقد كان لهذه السياسة الجديدة أثرها الواضح في الأدب والنقد فاندفع الشعر والأدب خطوات كبيرة وتعمقت النظرة في صناعة الكلام وما تنطوي عليه من الأساليب من أسرار ولطائف، كما عمقت نظرة الناس إلى خصائص القرآن الكريم، بل عكف كثير منهم على إدمان النظر في النظم القرآني في محاولة للبحث وراء هذه العظمة القرآنية.1

عوامل إزهار فنون النثر في العصر الأموي:

أ- الكتابة:

نمت الكتابة في العصر الأموي نموا واسعا و عرف العرب فكرة الكتاب وألفوا كتبا كثيرة بعضها ديني يتصل بمسائل الفقه و التشريع الإسلامي. وبعضها تاريخي حيث نشطت الكتابة التاريخية فكتب المؤرخون في مغازي الرسول إلى جانب الرسائل السياسية التي تصدر عن دواوين الخلفاء و الولاة أو عن خصومهم، والرسائل الاجتماعية التي يتبادلها الناس في أمور حياتهم الشخصية، والرسائل الدينية التي اتخذت إما شكل الموعظة أو شكل الحوار والجدل .2

1- ينظر: فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 69.

2- نسرين طاهر ملك : "النثر الجاهلي و الإسلامي و الأموي : دراسة تحليلية"، ص117.

كان الترسل أو الكتابة حاجة تاريخية في هذا العصر والعرب عامة كانت أقدر على الخطابة من الكتابة، من أجل ذلك كانت الدولة تتخير كتابا لها، من العرب حينا ومن غير العرب، من ذوي العفة والأمانة ،وقد كان الخليفة يملي على هؤلاء الكتاب ما يشاء أن يطلب فقد أصبح للكتابة مناصب في هذا العصر، وجعل لها ديوان خاص منذ أيام معاوية.1

وكان ديوان الرسائل في هذا العصر يشبه رئاسة الوزارة، فرئيس الديوان كان يسمى الكاتب، كان ينشئ الرسائل التي كان الخليفة يبعث بها إلى الولاة والعمال، وكان الكاتب في أول أمره موظفا بسيطا لا تتعدى وظيفته استملاء الرسائل، ثم تطورت الكتابة باتساع الحاجة إليها، وأصبحت صناعة ذات قواعد وأصول وأصبح لها مطالع وتحميدات، وحدث على متنها أشياء من السجع والموازنة، ومن التأنق في التعبير والجمل.2

وتبدو فكرة دواوين الكتابة أساسا لحركة هذا الفن مع تطوره و نضجه في عصر بني أمية الذي يعكسه لنا دور كاتب بارز مثل "عبد الحميد بن يحي" حين أطلق عليه القدماء أول الكتّاب حيث قالوا أن الكتابة افتتحت ب "عبد الحميد واختتمت بابن العميد"، وبدأت مدارس الكتابة الفنية تخوض مجالات متنوعة، وبدأت معها مكانة الكاتب تعلو وتزداد شموخا وأهمية.3

عبد الحميد الكاتب:

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد مولى العلاء، وهو فارسي الأصل، ويقول أكثر ممن ترجموا له إنه من أهل الأنبار بالعراق، كان في أول أمره معلما في كتاتيبها،ثم التحق بديوان هشام بن عبد الملك، وعرف في نفسه فصاحة ومهارة بيانية.4

1- ينظر:عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص374.

2- ينظر:المرجع نفسه، ص375.

3-ينظر:مي يوسف خليف ، النثر الفني بين صدر الإسلام و العصر الجاهلي، ص137.

4-ينظر:شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ج2، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1976،ص 473.

وكان عبد الحميد من أبلغ كتاب هذا العصر وأبرعهم وقد سماه الجاحظ في بيانه عبد الحميد الأكبر، ونصح الكتاب أن يتخذوا كتابته نموذجا لهم، وقد أجمع كثيرون على أنه أول من استخدم التحميدات في فصول الكتب ولا تلفتنا عند عبد الحميد براعته الأدبية في صنع رسائله فحسب، وإنما يلفت أيضا أنه تحول بطائفة منها إلى رسائل أدبية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة محاكيا ما كان يعرفه من رسائل الفرس الأدبية والتي قيل أنه كان أحد نقلتها إلى العربية ومن أهم أعماله رسالته إلى الكتاب وهي رسالة عامة ليس إلى شخص معين أو كاتب معين، والتي وصف فيها صناعة الكتابة وأهمية الكتّاب في تدبير الحكم وهذه الرسالة بدورها تعتبر دستورا دقيقة لوظيفة الكاتب.1

خصائص الكتابة عند عبد الحميد:

كانت رسالة عبد الحميد تحوي على أهم خصائصه الكتابية، فهو يهتم بالازدواج الذي يبنيه غالبا على الطباق، ولا يخلو من تصوير جميل، فهو يتخير ألفاظه ويوفر لها قدرا كافيا من الوضوح، كما يجمل أسلوبه بإيقاعات موسيقية لطيفة، تعتمد على الازدواج وعلى قصر الجمل والعبارات، فلقد أوصل عبد الحميد أسلوب الكتابة في العصر الأموي إلى حد من الرقي والإبداع .2

ومن الصفات التي أبرزها "عبد الحميد الكاتب" والتي تضمن للكاتب أن يحتل موقعه من البلاط ما يجمع بين الحلم والفهم والإقدام والإحجام والتمتع والعفاف والعدل والإنصاف وكتمان الأسرار والوفاء عند الشدائد والأناة والتعقل والتأدب والروية والتمهل.3

1- ينظر:شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص474.

2- مصطفى السيوفي:تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص160.

3-مي يوسف خليف:النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، ص140.

ومن طبائع الفكر التي يتحتم أن يتسلح بها الكاتب حسب رأي عبد الحميد:

1-رجل دين:قريب إلى الأصول من خلال تفقهه في العلوم الدينية، بتعلم كتاب اللهعز و جل.

2-عالم لغة:يجب أن تستوقفه المعاجم وقضايا النحو ومشكلاته والإلمام بغريب اللغة ومعانيها.

3- أديب و راوية: يعرف أشعار القدماء ويحفظ منها ما يقوم لسانه، مما يزيد كتاباته توثيقا.

4- مؤرخ: يعرف مصادره وينقد أخباره ويستكشف الوقائع والأحداث ويقف على أيام العرب والعجم.

5- كاتب متخصصا:يجيد الخط والكتابة حتى يلاقي القبول في بيئة المثقفين، في مقابل فصاحة اللسان وصحة مخارج الحروف لدى الخطيب.1

فيقول في رسالته: " أما بعد، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، و حاطكم و وفقكم وأرشدكم، فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء المرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا...ثم أجيدوا الخط فإنه حيلة كتبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم...واعلموا أن للتبذير آفة متلفة وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله ورؤيته، فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه..." 2

1-مي يوسف خليف:النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، ص141.

2- ينظر:أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص156،157 ، 170.

ب الخطابة:

إن العصر الأموي ألمع امتيازا بسبب تطور الخطابة العربية ونشأة كثيرين من الخطباء ولابد أن تتطور من عصر إلى عصر، سلبا أو إيجابا، بحكم مقتضيات الزمن والأحداث واتساع رقعة البلاد الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجا.

ولقد وجد السياسي في الخطابة دعامة تساعد على تعضيد ملكهم أو مذهبهم السياسي، فقد كانوا يوقنون أن الكلمة سلاح قوي التأثير إن أحسنوا استخدامه أتت نتائجه أفضل من السيوف والرماح فإذا بحقول الخطابة تتوزع بين الخطابة الدينية والحفلية والسياسية.

1-النمط الديني: يدور على ألسنة الخلفاء وخاصة منهم عمرو بن العزيز الذي عدَه المؤرخون خامس الراشدين، نظرا لما عرف عنه من الانضباط السلوكي وإيثار الزهد والتقوى، كما أخذت اللهجة الخطابية مسارات أخرى عند رجال الدين والزهاد ممن حاولوا القيام بدور حراس القيم وحماة الفضائل والدفاع عن العقيدة. 1

2-النمط الحفلي: كان أشد ارتباطا بجوهر المناسبات والمواقف التي عاشتها الخلافة الأموية أو ما حدث من توقيع أو هدنة أو صلح أو معاهدة، مما يتطلب صياغة بيانات خطابية ينهض بها خطباء الخلافة .

3-النمط السياسي: كان أشد انتشارا و ذيوعا لاشتداد صور الصراع الحربي بين الخلافة ومعارضيها في عصر بني أمية وتعدد النظريات وتعارض الفكر وتناقض المواقف، وهنا بدا الخطيب فارسا في ميدان الكلمة، كما كان فارسا في ميدان القتال، فهو يدافع عن قضية ويتبنى رؤية، وينتصر لموقف.2

1- مي يوسف خليف:النثر الفني بين صدر الإسلام و العصر االأموي،ص 166.

2-ينظر: المرجع نفسه، ص166.

مظاهر تطور الخطابة في العصر الأموي:

– شكل الخطبة فهي تبدأ بحمد الله و الثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله وتضمينات آيات من القرآن الكريم.

– بقاء رونق الخطابة الجاهلية، من الجمل القصيرة المتقاربة والفواصل العديدة المتكررة و المترادفات، والمحسنات البديعية، واللغة الجزلة العالية والأسلوب البليغ الفصيح.1

– الاعتماد على المؤثرات النفسية استحفاز حواس أخرى لدى السامعين.

– تنوع الأساليب بين إنشاء وخبر، ربما يكون بصورة متوازنة وفي هذا دلالة على الزيادة النسبية للأساليب الإنشائية.2

المزايا الإنشائية العامة في العصر الأموي:إن لهذا العصر طابعا إنشائيا خاصا، ويمكن وصفه بكلمة هو طابع "البساطة والمحكمة".3

1- الجزالة: وهي كما قال ابن الأثير أن يكون الكلام متينا على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع، فقد استعمل كتاب الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفحلة والمتينة والجزلة لأنهم قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها حتى عدت فيه جملة الفضائل التي يثابر على اقتنائها.4

2-**عدم التصنع الإنشائي:** إن هذا النوع إذا سلم من التكلف وبريء من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة.5

1- ينظر: محمد مصطفى منصور، صور من النثر الفني في العصر العباسي،دار غريب ، القاهرة ،دت، ص30.

2-ينظر: المرجع نفسه، ص 33.

3-أنيس المقدسي:تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص95.

4-المرجع نفسه، ص95.

5-ينظر: المرجع نفسه، ص96.

3- الإيجاز: ومن مزاياه الاستغناء عن كل لفظة أو ألفاظ لا تزيد المعنى وضوحا، والميل إلى التلميح دون التصريح وإلى التقدير والإيهام دون الذكر والتفسير، وقلة تفريع الكلام وتجنب الإسهاب والتبسط في عرض الفكر.1

الخصائص الفنية للنثر الأموي:

بلغت الخطابة والكتابة منزلة عظيمة في العصر الأموي بسبب الفتن والحروب الكثيرة التي أشعل نارها الشيعة والخوارج ومن خرجوا على حكمهم وهددوا دولتهم، لذلك نال النثر الأدبي الكثير من التطور، وقد ازدادت الحاجة إلى الخطابة وهذا ما تطلب من الخلفاء والولاة وقواد الجيوش أن يخطبوا خطبا بليغة قوية التأثير حتى تحقق غرضها في استمالة المخاطبين، وقد أكثروا الاقتباس من القرآن الكريم ومع تضمينها بالحكم والأمثال واستخدام أساليب التهديد والوعيد لخصومهم والتمثيل ببعض أبيات الشعر، مع حسن اختيار اللفظ بحيث تعطي العبارات جرسا موسيقيا يتناسب مع موضوع الخطبة.2

وأما الكتابة فقد تطورت وقد كان للكتابة دورها في تسيير دفة الحكم، لذلك اهتموا بجمال الصياغة وتخير الألفاظ وتجويدها وادخلوا في كتاباتهم ما استحسنوه من تشبيهات الشعر وحطمه، وقد ظهر الطابع الإسلامي في الرسائل وذلك بالحرص على افتتاحها بذكر اسم الله وحمده والسلام على نبيه. 3

1- أنيس المقدسي:تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص98.

2- ينظر:أبوالسعود سلامة، رمضان خميس القسطاوي، الأدب العربي في مختلف العصور، دار العلم و الإيمان،جامعة الأزهر،2008، ص140.

3-ينظر: المرجع نفسه،ص141

أبرز خصائص فن الترسل في العصر الأموي:

- ✓ ظهور معالم الصنعة في فن الكتابة، حيث الإطالة و السجع والمجانسة والمقابلات والتصوير وحسن النسق وتجاوز الكاتب الإمتاع وكثرة التفاصيل، ونبع الكاتب في الرسائل. 1
- ✓ سيطر التوازن الإنشائي على فنون النثر العربي خاصة الرسالة، وذلك في أواخره.
- ✓ أصبحت الرسائل قبل أن ينقضي العصر الأموي صناعة ذات قواعد وأصول، وما يميز رسائل هذا العصر، حسن اختيار الألفاظ، وبراعة أداء المعاني، وأناقة صوغ الكلام، مع التبسط في شرح الألفاظ، والاسترسال في تفريغ المعاني.
- ✓ في متن الرسالة الأموية أشياء من السجع والموازنة ومن الترداد المقصود، ومن التأنق في التعابير والجمل.2

1-ينظر:مي يوسف خليف، النثر الفني بين صدر الإسلام و العصر الأموي، ص 160-161.

2- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ،ص 375.

الكتابة الإنشائية في العصر العباسي (زمن الجاحظ):

عصر الدولة العباسية هو عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل، أثمرت فيه الفنون الإسلامية، وزهت الآداب العربية، كما زخر بالتطورات التاريخية والاجتماعية التي نقلت العرب من حال إلى حال، ونضج العقل العربي فوجد سبيلا إلى البحث ومجال للتفكير، وسار شوطا بعيدا في سبيل القوة والعمق والاتساع. وأصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع، من نثر علمي وفلسفي، وتاريخي وأدبي خالص، وكان في بعض صوره امتداد للقديم، والآخر مبتكر لا عهد للعرب به وكان تشجيع الخلفاء والوزراء والرؤساء للأدب والكتاب باعثا على النهوض بالكتابة وحافزا على تجويدها والتأنق في أساليبها. 1

امتد العصر العباسي أكثر من خمسة قرون، فقد بدأ عام 132ه إثر سقوط الدولة الأموية وانتهى حين استولى التتار بقيادة هولاكو على بغداد، وقد مرر هذا العصر بمراحل ثلاث متميزة في طبيعة الحكم السياسي والعناصر البشرية ذات النفوذ فيه ،وهذه العصور العباسية هي:

أولا:العصر العباسي الأول:الذي يبدأ عام 132ه و ينتهي بنهاية الواثق عام 232ه، وقد اتسم بالقوة والازدهار إذ استطاع الخلفاء أن يواجهوا التحديات القوية وأن يخرجوا منها منتصرين. 2

ثانيا:العصر العباسي الثاني:والذي يبدأ عام 232ه و ينتهي بدخول البويهيين بغداد عام 334ه، ومن مميزات هذا العصر أنه فيه استقر الخط العربي على القاعدة التي وصلت إلينا كما ظهر فيه الانقلاب الأدبي في ألفاظ اللغة العربية، فتنوعت معاني بعضها حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم، وفيه ترجمت التوراة إلى اللغة العربية، ترجمة لا تزال باقية إلى الآن.3

1-ينظر:أحمد حسين الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص210.

2- مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص11.

3- ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص555.

ثالثا: العصر العباسي الثالث:الذي يبدأ عام 334هـ وينتهي عام 656هـ، الذي شهد زوال الخلافة العباسية. 1

مميزات وخصائص العصر العباسي:

تميزت الفترة التي عاش فيها الجاحظ بمميزات عدة، أهمها ذلك اللقاء الفكري الخصب بين الثقافات الأجنبية والعربية والإسلامية، على مسرح الحياة العامة في الدولة العباسية.

***ثقافيا و علميا:** تعددت الثقافات في العصر العباسي الأول تعددا ملحوظا وازدهرت ازدهارا لم تعهده الخلافة العباسية، فقد كان من أنسب العصور ملائمة للنهضة الثقافية فمدينة الإسلام بدأت تستقر، بعد هدوء حركة التوسع والفتوح التي كانت طابع العصر الأموي، كما أدى دخول بعض أفراد الأمم غير الإسلامية في الإسلام، والاختلاط عن طريق السكنى والتزاوج والفتوحات والسفر والتجارة، وفيه ظهرت أربع ثقافات لها الأثر الأكبر في عقول الناس، منه الفارسية واليونانية والهندية والعربية، ويرجع السبب في انتشار هذه الثقافات إلى حركة الترجمة من اللغات الأجنبية، وساعد على نضج البحث والتأليف وأيضا تشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء ورجال العلم والأدب وكثرة العمران واتساع أفق الفكر الإسلامي. 2

***اجتماعيا:** كان لتعدد الثقافات غير العربية اثر كبير على الحياة الاجتماعية كلها حتى إنه لم تعد البيئة الاجتماعية عربية خالصة، وكان هناك أيضا من الزهاد والمعتزلة الذين اعتزلوا حياة اللهو واللعب الذي ساد بين الخارجين عن الإسلام، وفي جانب آخر فقد شاع اللهو في البلاد ومال الناس إلى الغناء والرقص والتفنن في الملبس، وكان هذا نتيجة للاختلاط بالأجناس الأجنبية، وأيضا لإطلاق الحريات في جميع الميادين.3

1- مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص11.

2- ينظر: محمد سعد القزاز،الفكر التربوي في كتابات الجاحظ، ط1،دار الفكر العربي،بيروت،1995،ص 74و75.

3-ينظر : المرجع نفسه، ص78.

"ولم يكن حال الناس جميعا في العصر العباسي على وتيرة واحدة، ولا كانوا كلهم من اللاهيين، ولم يكونوا كلهم من الجادين، ولا كانوا كلهم أغنياء ولا كلهم هازلين"1

وبما أن الجاحظ غير منعزل عن المجتمع الذي عاش فيه، فقد اختلط بكل طبقات المجتمع العباسي بجميع فئاته على تباين أنواعها وأحس بها جميعا وكتب عنها حتى جاءت كتبه مرآة صادقة لعصره .

***سياسيا:** إن العصر العباسي عاصر كثيرا من القلاقل والصراعات، إذ كان مسرحا للأهواء والنزاعات المختلفة وكان هذا الصراع الطابع العام للعصر العباسي، ولقد قامت على القوة وكمن سر قوتها في أن الخلفاء العباسيين كانوا أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة في دولتهم فلما تغير الحال استعانوا بالفرس، واقتفوا أثرهم وحاكوهم في كل شيء من حياتهم.2

وقد كان الصراع السياسي الدامي بين الأمويين والعلويين، أثر كبير على نهضة الشعر وقوته، فقد وقف بجانب العباسيين فريق كبير من الشعراء يدافعون عنهم، وينكرون حق العلويين في الخلافة، وقد خلف هذا الصراع ثروة هائلة من الشعر ضاقت بها كتب الأدب .3

***أدبيا:** لعب الأدب العربي في عصر الجاحظ دورا كبيرا في تكوين العقلية العربية وتشكيلها إذ تعددت مصادر هذا الأدب في إثراء الأدب العربي عامة، والحياة البصرية بصفة خاصة ومن هذه المصادر نجد سوق المربد الذي احتل مكانا خطيرا في الحياة الأدبية والعلمية يذكر ياقوت الحموي أن الجاحظ تلقى الفصاحة شفاهة في المربد من شيوخ الأدب والعلم الذين يأتون إليه.4

1- ينظر: محمد سعد القزاز،الفكر التربوي في كتابات الجاحظ،ص 81.

2-ينظر:المرجع نفسه، ص73.

3-ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص89.

4-ينظر: محمد سعد القزاز، الفكر التربوي في كتابات الجاحظ، ص 87.

بالإضافة إلى المساجد والأفنية التي عدت أمكنة لتلقي العلم والأدب في عصر الجاحظ،" وهكذا تميز عصر الجاحظ بالانفتاح الثقافي والازدهار العلمي، ويمكن القول أن ازدهار الحركة العلمية في الدولة العباسية راجع إلى حركة ترجمة كتب الفلسفة من الإغريقية إلى العربية، وإنه من الإنصاف القول أن حركة الترجمة بدأت في فترة خلافة الدولة الأموية، إلا أنها استجمعت قواها أثناء حكم العباسيين" 1.

خصائص الأدب العباسي:

الأدب عطاء بيئته عبر ظروف وعصور ليكون منها في واقعها الحي، و يجسدها في منطلقاتها ومفاهيمها من خلال ظروفها وأوضاعها، وهو يقتبس منها ويغنيها وفي حركه تجاذب معها، والأدب العباسي هو وليد البيئة العباسية، ومن هذه الخصائص:

-الواقعية:وتجلت الواقعية لصورة ساطعة، وهي تعمق في أكثر من مجال وهي تشيع لمحات كاشفة ومواقف نقدية.

-المحافظة والتجديد:وصل العباسيون إلى الحكم بعد انتصار حركتهم الانقلابية على الأمويين وكان لهذا أثره في أدب البيئة العباسية.

-النزعة القومية والشعوبية.

-الالتزام والمعاناة الفردية: لم يكن لعهود الحكم العباسي أن تحلو من الصراعات التي عان منها الأموي بل إن هذه تعود من جديد لتتنوع في دعواتها ويستعر صراع سياسي بين العباسيين الحاكمين وأبناء عمومهم الطالبين.2

1-محمد سعد القزاز: الفكر التربوي في كتابات الجاحظ،ص 93.

2-ينظر:كاظم حطيط، أعلام و رواد في الأدب العربي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1987، ص28-30.

-النزعات الحسية والوجدانية:قوِي وازداد في الأدب العربي العباسي، لاسيما عند أدباء المدن ورواد القصور، وكبر حظ الغزل في هذا المجال.

الإقليمية والإنسانية.

-الاختيار والجمع و جدة العطاء في التأليف.

-الإتباع و الإبداع في الكل و الوزن:فأحدهما نهج طريقة القدماء في الألفاظ و الأوزان، و رغب فريق آخر أن يعطي في ألفاظه و أوزانه من عصره و بيئته.

الصناعة اللفظية و العمل الذهني: و هذا نتيجة للتأثر بالاتجاه الفارسي.1

أسباب نهضة النثر في العصر العباسي

من أبرز العوامل التي أدت إلى نهضة النثر العباسي :

* " استقرار الأمور في الدولة واتساع العمران .

*النضج العقلي وظهور آثار التقدم الفكري في الدولة.

*ظهور أجيال جديدة من المثقفين من أبناء الأمم المستعربة الذي جمعوا إلى الثقافة العربية الأصلية فنونا جديدة من ثقافات آبائهم الفرس، الهنود اليونان.

*كثرة المذاهب الكلامية وحاجة كل مذهب إلى التأييد وشرح مبادئه ". 2

*امتزاج الحضارات والثقافات المختلفة، أما الثقافة العربية الإسلامية فقد اجتمعت لها أسباب الحضور الدائم، وذلك لأن علماء اللغة وضعوا قواعد النحو وأقيسه اللغة من خلال الشواهد الشعرية التي جمعوها وغيرها من الشعر القديم عن طريق الرواية. 3

1- ينظر:كاظم حطيط، أعلام و رواد في الأدب العربي، ص30-33.

2- ينظر: رضوان باغباتي "تطور النثر العربي"، مجلة الألوكة، إيران، 2009،ص4.

3-مصطفى السيوفي:تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص32.

الحياة العقلية والفكرية في العصر العباسي:

كانت الحياة الفكرية بجوانبها الأدبية والعلمية نقطة مضيئة في العصر العباسي على اختلاف مراحله وتقلب الأيام فيه، فقد شهد حركة نشيطة في مجال التدوين والتأليف والترجمة كما نال المبدعون شعراء كانوا أم علماء تشجيعا من الخلفاء والوزراء والقادة ورجال الحكم بشكل عام وكان نتاج المبدعين متميزا وذلك لأن العقول المنتجة فلقد تلقفت هذه العقول لونين من الثقافة:

1/ العلوم العربية والإسلامية المختلفة التي كان منها اللغة وأشعارها، وقد حرصوا على أن لا يأخذوا اللغة عن حضري أو متأثر باللسان الحضري، وذلك كان العلماء يرحلون إلى البادية داخل الجزيرة العربية حيث اللسان صافيا لم يفسد.1

2/ العلوم الأجنبية التي جاءت مع حركة الترجمة الواسعة التي بدأت متواضعة في أواخر العهد الأموي، ولكنها اتسعت في العصر العباسي، ولقد امتزجت هذه العلوم جميعا، العربية والأجنبية في العقل العربي وصيرته عقلا جديدا فيه الأصالة والمعاصرة معا.2

النثر العباسي:

" إن الكتابة في هذا العصر وصلت إلى أرقى ما وصل إليه الإنشاء العربي، وأن نمو الحضارة والسلطان في العصر العباسي أثر في الإنشاء تأثيرا زاده تأنقا، وبنقل العلوم اليونانية وغيرها إلى اللغة العربية واتسعت لغة الكتابة، ودخول كثير من الألفاظ الجديدة، ويتميز الأسلوب الكتابي في هذا العصر بعبارات تميل إلى التوازن، مع عدم التقيد بالسجع " .3

1- ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي،ص21.

2-ينظر: المرجع نفسه:ص22.

3-علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط1، بيروت، 1981،ص224.

وقد تأثر الترسل في العصر العباسي بأسلوب"عبد الحميد الكاتب"الذي يغلب عليه البسط وتوازن العبارات، ويرى"جرجي زيدان"أن لكل عصر إمام في إنشاء المراسلات كعبد الحميد وابن المقفع في العصر العباسي الأول والجاحظ في العصر الثاني وابن العميد في العصر الثالث.1

وإن ظهور عبد الحميد لم يحول النثر العربي فجأة من حال إلى حال، بل إن هذا الكاتب إنما أقر طريقة التبسط والازدواج وطبع فن الترسل بها، فالأسلوبان الموجز البسيط، والمتبسط المزدوج يتنازعان السيادة، وبقي هذا التنازع حقبة من الزمن بدليل ما نجده من الميل إلى الإيجاز في صدر الدولة العباسية.2

فنون النثر العباسي:

أولا:الخطابة:شهد فن الخطابة رواجا و ازدهارا في العصر الجاهلي و عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، وذلك لأهمية الخطابة وقوة تأثيرها وكانت ذات مكانة مهمة ومستوى فني رفيع، فلما جاء العصر العباسي حافظت الخطابة على مكانتها ومستواها الفني الرفيع في بداية العصر لكنها لم تلبث طويلا حتى تراجعت ويرجع هذا إلى سببين هما:
*أن العباسيين لم يطلقوا لها الحرية التي كانت تؤدي إلى قوتها وازدهارها.
*أن فنونا نثرية أخرى نافستها على مكانتها. 3

ومن أنواع الخطب السائدة في عهد بني العباس منها الخطب السياسية والدينية والحربية وخطب الوفادة والاحتفالات والنكاح ونجد أنها مماثلة للأنواع السائدة فيما سبقه من عصور إلا من حيث الموضوع الذي سيقت من أجله وتطور الزمن والأحداث، ومن حيث التركيب والصياغة وطريقة العرض.4

1-ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربي، ص690.

2-أنيس المقدسي:تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص140.

3-ينظر:محمود عبد الرحيم صالح، فنون النثر في الأدب العباسي، ط2، دار جرير،2006، ص13.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص13.

مميزات الخطابة في العصر العباسي:

1/ البداية: فقد حرصوا أن تبدأ خطبهم بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ليس تفاديا أن تكون خطبتهم بتراء فحسب، وإنما لاستغلال ذلك سياسيا، فهم بحاجة إلى إرساء ملكهم في بدايته وتدعيم أركانه.1

2/الاستشهاد(من القرآن الكريم، السنة النبوية، موروث كلام العرب من شعر ونثر):وقد حرصوا ألا يكون كلامهم خاليا من الاستشهاد إلا فقدوا مصداقية التأثير وروح المشاركة الوجدانية ومعنى القول أنهم لا يريدون أن توصف خطبهم بالشوهاء، ولا يريدون إغفال الشعر والنثر من كلام العرب لأنه ميراث الأمة.

3/ الأسلوب:لم يختلف عما كان عليه في العصور السابقة، من جزالة الألفاظ وفصاحة العبارات والجمل كثيرة المترادفات، وقد تنوعت الأساليب الخبرية والإنشائية بحسب موضوع الخطبة، إضافة إلى المحسنات البديعية من جناس وسجع وطباق ومقابلة.2

ثانيا:فن المقامات: "والمقامات قصص قصيرة، تدور حول شخصيات نمطية من أصحاب الكدية غالبا وتعمد إلى فن الإضحاك من تصرفات تلك الشخصيات وحيلها وأقوالها بهدف الإضحاك والسخرية، أو النقد الاجتماعي أو الأدبي أو الموعظة وتصاغ بأسلوب يكثر فيه الغريب والصور البيانية وضروب البديع ".3

1- ينظر: محمد مصطفى منصور، صور من النثر الفني في العصر العباسي،ص62.

2-ينظر:المرجع نفسه: ص66 ص77.

3-محمود عبد الرحيم صالح: فنون النثر في الأدب العباسي، ص167.

ومن خصائصها الفنية وسماتها الأسلوبية:

– فيه حوار لطيف يدور بين الراوي والبطل.

– الحبكة البسيطة التي توجه الأحداث وتتحكم في الشخصيات.

– التركيز على السجع انطلاقا من أنه من الصيغة الفنية النثرية التي كانت عصور المقامات تعشقها وتطلبه.

– كاتب المقامة يسعى أن يحقق من حكايته غرضا تعليميا يحشد له مجموعة من الألفاظ و غرضا فنيا يجاري فيه ذوق معاصريه الذين كانوا يحبذون نمطا من الصنعة اللفظية الزاهدة. 1

–تصاغ بأسلوب أنيق، وألفاظ رشيقة منتقاة وعبارات ساحرة آسرة بجمالها، وفيها كثير من الأمثال السائرة والآيات القرآنية الكريمة، والرموز التراثي وأبيات الشعر. 2

أما عن الأداة في فن المقامة فتظل مرتبطة بمستوى لغوي معين يحرص صاحب المقامة على أن يدور في داخله من خلال الانتقاء الدقيق للفظ، حتى اتهمت المقامة بتغليب اللفظ فيها على المعنى، وكأنها تستجيب بذلك لمنطقة التلقي، إذ تستهدف الإثارة والتشويق، ومحاولة السيطرة على وجدان المتلقي وعقله، حتى لا ينفلت عمها انتباهه و ا يتغير اتجاهه. 3

ثالثا: فن الترسل: ونعني بالترسل إنشاء المراسلات ويريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه من حيث الأدب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة، وهو الذي يتغير عبر العصور، وإن الترسل نضج في هذا العصر فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون بلباسهم وطعامهم وأثاثهم، فأطالوا العبارة وتوسعوا في التنميق، وصار للإنشاء في هذا العصر طريقة اتخذوها نموذجا نسجوا على منواله، وهي الطريقة المدرسية في اصطلاح الإفرنج .4

1– ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي،ص189.

2–محمود عبد الرحيم صالح،فنون النثر في الأدب العباسي، ص172.

3–ينظر: عبد الله التطاوي، الجدل و القص في النثر العباسي، دار الثقافة، القاهرة، 1988، ص123.

4–ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص 690.

وصار للرسالة نمط خاص في الكتابة، فالرسالة تبدأ غالبا بمخاطبة المرسل إليه بلقبه أو نعته بعد الإشارة إلى كتابه، ويتلو ذلك مخاطبته بصيغة الغائب كقولهم: "ورد كتاب الأمير يأمرني فيه بكذا وكذا..."وقد يأتي اللقب مشفوعا بالدعاءبصيغة الغائب أيضا، كقول ابي بكر الخوارزمي: " كتبت ايّد الله صاحب الجيش..." .1

وكان الترسل متفرّعا إلى أبواب عملا بسنّة النشوء كما تفرّع الشعر، فصارت الرسائل تقسّم إلى رسائل التهنئة والتعزية والمديح والرثاء والاخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك.

وقد أصبح للإنشاء في هذا العصر فنّا له ألفاظا خاصة لأساليبه وعباراته كالتسجيع والترصيع، والتبديل والمكافأة والاستعارة، ولكل منها غرض في الإنشاء.2

1-ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص692.

2-ينظر: المرجع نفسه،ص693.

خصائص فن الترسل وسماته الأسلوبية:

ويتوزع على نمطين هما:

1/الأسلوب الذي يزدان بألوان من الزخرف الجميل كالسجع والازدواج والبديع كالجناس والطباق وغيرهما

2/الأسلوب الذي يعتمد على الفلسفة والمنطق ويتحلل من أي زخرف.

فالأسلوب الأول وهو الأوسع يختلف من كاتب لآخر فبينما نجده بسيطا عند كاتب كالجاحظ ومعقدا عند غيره، ومن الملاحظ أن المسألة لها ارتباط بالعصر الذي وجد فيه الكاتب وطبيعة الموضوع الذي يكتب فيه، فمن الموضوعات ما كان فلسفيا يحتاج إلى بيان ومنطق أكثر من سجع وبديع.

ومن الموضوعات ما كان تعبيرا عن الذات أو عن القدرة وهو يطلب الصنعة والزخرف لأنه يحقق بغيته عن طريقهما، ثم إن النثر في القرن الرابع الهجري عموما يختلف عن القرن الثاني وهو اختلاف طبيعي لأنه تعبير عن اختلاف طبيعة الحياة بساطة وتعقيدا في كلا العصرين.1

أساليب الترسل في العصر العباسي:

هو أسلوب قام على هجر كثير من الألفاظ البدوية الحوشية الجافية التي تنبو على ذوق أهل الحاضرة، كما قام على الارتفاع عن الألفاظ العامية المبتذلة، مع العناية بفصاحة اللفظ وجزالته، ورصانته والملائمة الدقيقة بين الكلمة والكلمة في الجرس الصوتي، و لم يقف عند الأداء الفصيح وحسب وإنما اتخذ لنفسه أصولا بيانية تشيع فيه الرونق والجمال.2

1-ينظر:مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص169.

2-ينظر:شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط8، ج3، دار المعارف، دت، 443.

وقد توقف الجاحظ في الحديث عن كتّاب عصره في قوله:

"إنهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة، وعلى المخارج السهلة الديباجة والكريمة، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام له ماء و رونق وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم، و فتحت للسان باب البلاغة ودلّت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني ".

ومن الأساليب الغالبة في رسائل العصر العباسي ما يلي:

السجع:أصبح شرطا من شروط الترسل وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه العناية من إتقانه فالرسالة المسجوعة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجوعة، وتدل على تفرع صاحبها للتنميق، والسجع إذا أتقنت صياغته أكسب المعنى قوّة، وقد أتقنه بلغاء العصر الثالث.2

الجناس والبديع:أكثروا من الجناس وهو من قبيل الترصيع للآنية أو الوشي للثوب، وهما لا يزيدان العبارة معناً، لكنه يكسبها رونقا، ونجد قول أبي بكر الخوارزمي في كتابه إلى نائب الوزير ابن عباد، " كتبت إلى الأستاذ معاتبا مرّة، ومستعتبا كرّة، فما وجدت للعتاب أعتابا، ولا قرأت من الكتاب جوابا ".

التضمين:كثر تضمين مراسلاتهم الأمثال أو النكت الأدبية، أو العبارات التاريخية أو العلمية التي تحتاج إلى شرح.

الخيال الشعري:كثر في الخيال الشعري في رسائلهم حتى أصبح سجعهم كالشعر المنثور، لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعرا.3

1-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج4،ص24.

2-ينظر:جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربة،ص 690.

3-ينظر: المرجع نفسه،ص 691.

مذهب الجاحظ النظري في بلاغة الإنشاء

كان الجاحظ شيخا للنقاد وإماما للأدباء وأستاذا للمتكلمين، وفيلسوفا من فلاسفة الإسلام لا ينكر أحد فضله على البلاغة والنقد الأدبي في تأسيس مبادئه ووضع أصوله، تكلم في الطبع والتكلف، وبيّن أقدار الألفاظ والمعاني، فيمكن أن نسمي أدبه بالأدب الجيد وتكمن البلاغة عند الجاحظ في:

مطابقة العبارة لمقتضى الحال:

لقد أراد الجاحظ أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال، وهذا من أصول البلاغة، فهو حريص على الطبع ونفور من التكلف، لا يحب أن يكون اللفظ ساقطا سوقيا أو وحشيا غريبا، في قوله:

" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ".1

والجاحظ لم يرجح جانب الألفاظ من حيث هي ألفاظ، وإنما يرجحها من حيث ائتلافها مع معانيها، وانسجامها مع ضخامتها وهذا ما عبر عنه أحيانا بالسبك وأحيانا بالصياغة.2

فقد نادى الجاحظ في كتابه البيان والتبيين و في غيره من مؤلفاته، بضرورة التلاؤم بين اللفظ والمعنى وينسجم هذا المبدأ مع موهبة الجاحظ الأدبية التي تحكم عنايته باختيار الألفاظ وثقافته العلمية والفلسفية التي تحكم عنايته بالمعنى .3

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص138.

2-ينظر:محمد علي زكي صباغ،البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ،ص 87.

3-ينظر: خليفة أبو بكر الكندور،مظاهر البحث البلاغي في أدب الجاحظ،مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، ع1،م1،دار الثقافة،المرج، 2013،ص 148.

فالخطيب عليه أن ينظر في حال كل طبقة ممن يتحدث إليهم، وأن يراعي ما يجب لكل طبقة من المقال، فإذا نقح ألفاظه ودقق معانيه، وكان يخاطب العامة من الناس خرج كلامه عن دائرة البلاغة، لخلوه من المطابقة لمقتضى الحال، وما يجب لكل مقام من المقال. 1

إن أسلوب الجاحظ في كل ما كتب صورة لجلال ذوقه الفني، وضع فيه الألفاظ في مواضيعها وأسبغ على الجملة روعة البلاغة وحسن النظم، وكان هدفه الإفهام والوضوح بأداء فني جليل بعيد عن الخشونة والغرابة والتعقيد، شعاره لكل مقام مقال.2

فنجد قوله أيضا: " وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، وكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل.." 3

البيان ووضوح الدلالة:

الجاحظ من روّاد الواقعية في أدب التراث، وقد عبّر عن واقعيته بالوصف الصادق والدقيق للبيئة التي عاشها، ونقل مشاهداته عن الطبيعة وأحوال الناس بوضوح، فسمى الأشياء بأسمائها وتحدث عن فئات المجتمع، وقد أكمل منهجه الواقعي بتحويل معانيه إلى أوصاف محسوسة من خلال قدرته على انتقاء الألفاظ الملائمة،وقد قاده هذا التوجه الفني إلى الاعتدال في التعامل مع فنون البيان كالتشبيه والمجاز والاستعارة.4

1-فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ،ص 177.

2- ينظر:محمد علي زكي صباغ،البلاغة الشعرية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ،ص90.

3-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين،ج1، ص 144.

4-ينظر: خليفة أبو بكر الكندور،مظاهر البحث البلاغي في أدب الجاحظ،ص 152.

يؤكد الجاحظ منهجيته في علم البيان في قوله: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ".1

ولقد ألمّ الجاحظ بالأساليب البيانية وخاصة في البيان والتبين فدلّ عليها عن طريق الأمثلة، لا عن طريق القواعد الاصطلاحية، كما تناول جميع أصناف الدلالات على المعنى من لفظ و غير لفظ فحصرها في خمسة أشياء:وهي اللفظ، الإشارة، العقد، الخط، الحال أو النصبة ويظهر هذا في قوله:

"وجميع أصناف الدلالات على المعنى من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة".2

الإيجاز وعدم التكلف:

يقول الجاحظ في كلامه عن الإيجاز: " وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، و حسن الاختصار، ودقّة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح و أفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجح ".3

من هذا القول يظهر أن إنشاء الجاحظ على متانة في السبك، بعيد عن التصنع غالبا ولا يهتم بالتزويق اللفظي والتنميق البلاغي، كما وصفه بديع الزمان الهمداني، أنه بعيد الإشارات وقليل الاستعارات، قريب العبارات، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة، أو كلمة غير مسموعة .4

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبيين،ج1، ص76.

2-المرجع نفسه، ص76.

3- المرجع نفسه:ص 75.

4-محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ، 90.

والدليل على اعتماد الجاحظ للإيجاز قوله: " وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه " "وإذا كان المعنى شريفا و اللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ".1

فإن الإيجاز عند الجاحظ، أحسن موقعا، واحمد أمرا، فهو يدافع عن فكرة عرض المعاني الكثيرة، في ألفاظ قليلة، مع الإبانة والإفصاح، ليسهل تذكرها وتعلقها في الذهن فيقر على هذا في قوله: "وقد علمنا أن من يقرض الشعر، ويتكلف الأسجاع، ويؤلف المزدوج، ويتقدم على تحبير المنثور،وقد تعمّق في المعاني، وتكلّف إقامة الوزن، والذي تجود به الطبيعة، وتعطيه النفس سهوا رهوا، مع قلة لفظه، وعدد هجائه، أحمد أمرا أحسن موقعا من القلوب، وأنفع للمستمعين ".2

وقد ألمح الجاحظ إلى نوع من الإيجاز وهو إيجاز القصر، وهو ما تضمن الكثير من المعاني مع قلة الألفاظ، وليس فيه حذف شيء من أجزائه.3

البعد عن الإطناب:

وهو عنده التعبير عن المعاني بما كثر من الألفاظ، وزاد عن حاجة هذه المعاني فكثرة الحديث وإطالته، هما من التزيد والمباهاة فالإطناب عند الجاحظ يدور حول معنى البلاغة، وهو المطابقة لمقتضى الحال والمقام، فإذا كان المقام ليس بحاجة إلى الإكثار في الكلام وإنما القصد إلى المباهاة والتزيد في القول.4

1-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص83.

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبيين، ج4، ص28.

3-ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص219.

4-ينظر: المرجع نفسه، ص214.

وقد نبّه الجاحظ إلى نوعين من الإطناب:

النوع الأول: وهو التكرار الذي سماه ترددا و يعني به ما تكرر من أجزاء الكلام أو القصة،فالتكرار معيب على كل حال لأنه يخل بتسلسل الحديث وارتباطه ويجعل السامع يمل من كثرة الحديث بسبب التكرار والتزيد.

أما النوع الثاني:وهو إصابة المقدار أي أن يأتي المتكلم بكلام على قدر معناه، بحيث إذا أراد أن يخرج منه شيئا أتى من الألفاظ بما يخرجه.1

1- ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 215ص217.

الكتابة الإنشائية

عند

الجاحظ

الجاحظ أديب وعالم فطر على حب المعرفة وتعدد مجال عطائه، وأبدع أيّما إبداع فكان ذا أسلوب ساحر وآسر وساخر، وقد استطاع أن يحيط بمعارف مجتمعه وأن يكون بحق شاهده ورائد ثقافته، وإذ هو عميد الأدب العربي القديم، دون منازع، والممثل القادر له في مختلف اتجاهاته الواقعية والاجتماعية والقومية والإنسانية والفنية.

وللجاحظ أسلوبه المتميز في الكتابة، فهو أديب فكه وفوق ذلك معتزلي ذو طريقة خاصة في الاعتزال وقد طرق أبوابا شتى من العلم، فألف كثيرا من الكتب والرسائل على أن فصول كتبت في مواضيع خاصة وهي أشبه بما نسميه مقالات أو رسائل، ككتاب افتخار الشتاء والصيف التربيع والتدوير، رسالة الشكر، مدح النبيذ، في الحاسد والمحسود، في الجد والهزل، رسالة في فخر السودان على البيضان، رسالة في تفضيل النطق على الصمت...1

المبحث الأوّل:خصائص الإنشاء الجاحظي:

من أهم خصائص ومميزات الكتابة الإنشائية عند الجاحظ نجد:

- الطبع والأصالة: تتنوع في مواضيعه وتتمثل فيها وجوه الأصالة فمن صفاء رؤية وطرافة، ونفاذ سخرية وتهكم ومقدرة على التوسع والشمول، وهو يموج بأنواع شتى من الناس، البخلاء، والتجار ويدق أخبار ونوادر الحيوانات، وتتعدد معطياته من عرض وسرد إلى تحليل ودرس واستقراء.
- المعاناة: ما كان نتاج الجاحظ عطاء تخيل أو نسيج عزلة و انفراد، ولكنه يصدر عن معاناة مجددة وهو ما يدرك الكتابة مجرد نشر أحاديث وانتقاء أخبار، ولكنه يرحب في مجالها فيعطي من تجربة ومحاولة ومشاركة في شتى ظروف عصره وأحوال بيئته.2

1-أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 170.

2-ينظر: كاظم حطيط، أعلام ورواد في الادب العربي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1987،ص63.

- الواقعية: رغم فقره وحاجته لم تدفعه فقط في النظر في شؤون ذاته، بل اندفع إلى إدراك واقع مجتمعه ودراسته، فواقعيته وصفية حينا، ونقدية إصلاحية حينا، ومتهكمة ساخرة حينا آخر.1
- التنوع: فقد رفض الجدية الدائمة، ونوّع كتاباته بين جد وهزل ليكون القارئ معه ضحك إذا شاء وفي لهو إذا ملّ الجد، في قوله:2

" واذكر لي نوادر البخلاء وأقوالهم وحججهم، وما يجوز منه في باب الجد، وما يجوز منه في باب الهزل والمزاح، فإن الجد يتعب الفكر تعبا يمنع من معاودته، فيكون الهزل راحة للفضل قبل مراجعته ".3

- الظرف والدعابة:فهو مبدع أصيل ورائد في نوادر وحكايات ظرفه وفكاهته.
- " التهكم والسخرية: يتهكم الجاحظ ساخرا منطلقا مع طبعه وذكائه المتأنق، وهو يبلغ في ذلك ما لا يصل إليه بالجد وأبرز ما يكون تهكمه الساخر في نقده وتفنيده لآراء يرفضها ومواقف يستغربها وتماد في عيب ينفر منه وتظهر سخريته وتهكمه في رسالة التربيع و التدوير" .4

" سخر الجاحظ من الأشرار والحمقى، والتقى رنين الضحك بلذعات السخرية في إظهار عيوبهم ونقائصهم، بأسلوبه ألتأليفي المميز لكتاب البخلاء، الذي وصفه بأنه في نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء وما يجوز في ذلك من باب الهزل وما يجوز من باب الجد، مراوحا في ذلك بين الأحاديث الطويلة بالطرف القصيرة دفعا للسآمة والملل" .5

1-ينظر: كاظم حطيط، أعلام و رواد في الأدب العربي،ص64.

2-ينظر: المرجع نفسه،ص65.

3-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، تح نزار عابدين، الهيئة العمة السورية، دمشق،2012، ص25.

4- كاظم حطيط، أعلام و رواد في الأدب العربي،ص65.

5- عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، ط1، الدار الجماهيرية للنشر، 1988،ص100 .

- النزعة المسرحية:برزت خاصة في كتاب البخلاء وذلك بما أعطاه في نوادره وأخباره، من استجلاء في الحوار وصفاء في السرد وتجسيم للميول والعيوب النفسية، وإيحاء بالتأمل والعبرة في الهزل والجد، وخصب في الإبداع الفني.
- المرونة البلاغية:فإن الجاحظ يوجز حين يجب الإيجاز، ويسهب ما يجب الإسهاب ويتنوع في أسلوبه فهو في مواضيعه مع مقتضى الحال.5
- الاستطراد و فوضى التأليف:يكثر الاستطراد عند الجاحظ، فيتشعب حديثه إلى أحاديث وقد تنشأ في موضوعه مواضيع، فبينما يتكلم عن الحيوان فإنه يستطرد إلى الكلام في الدين والبيان.
- الشك: نمت الروح العلمية في تفكيره ليستوي الشك رائده في معرفة الحقيقة، فيشك في كثير من الأخبار عن الحيوان وفي أقوال بعض الفلاسفة.
- العقلانية: أثّر الاعتقاد ألمعتزلي على تفكير الجاحظ، فبرزت عقلانيته في تصديه لكثير من الادعاءات في الدين والاجتماع والحيوان، ويستطيع تفنيد وفضح أكاذيب وأباطيل كثيرة. 2

إن العقل عند الجاحظ هو موئل كل القضايا والدافع إليها، وذلك شأنه عند المعتزلة كافة فهو لا يكتفي بما يصله عن طريق الحواس، بل يخضع كل شيء للتحقيق عن طريق العقل ليبعد الشك و الشبه ويتجنب الظن ، فمذهب الجاحظ في تكريم العقل هو مذهب المعتزلة الذين مجدوا العقل وبالغوا في تمجيده، ومن ثم كان في تفسيره للقرآن يعتمد على المعقول أكثر من المنقول وقد نقد القصاص والمحدثين والمفسرين والفقهاء والعلماء والإخباريين .3

1- ينظر: كاظم حطيط، أعلام و رواد في الأدب العربي،ص66.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص66-67.

3-ليلى جغام:الحجاج في كتاب البيان و التبيين للجاحظ،رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة،2013، ص59.

- " التجريبية:لقد دفعت الكتابة العلمية الجاحظ إلى القيام بالاختبار والتجربة، وإذ هو يجري تجاربه على بعض من الحيوانات والحشرات، مثل الجاموس والذباب، البعوض وهو يقطع أحيانا أعضاء الحيوان أو يذبحه ليتفحص جوفه وما يتضمنه ".1
- الموضوعية ومنطق طبيعة الأشياء:يلتزم بمزيد من الرصانة ويخلى إلى حد ما عن المزاجية والعفوية، فينطلق في موضوعه فيناقش الأقوال على أساس منطلق جلي قويم.2

1-كاظم حطيط، أعلام و رواد في الأدب العربي، ص68.

2-ينظر: المرجع نفسه، ص68.

المبحث الثاني:ترسل الجاحظ وفنّياته:

كان الجاحظ واسع الثقافة غزير الإنتاج يسلك فيه أساليب خاصة لها تأثيرها في النفس والعقل،فكتاباته تتسم بقوة المنطق ووضوح الاستدلال والقدرة على توليد المعاني، فضلا عن الحيوية الدافقة و القدرة على رسم صور دقيقة للحياة والواقع، في صراحة غير مخلة غالبا، قد تصل إلى حد الجرأة أحيانا، وواقعية جميلة، على جانب ما يشيع فيها من السخرية والفكاهة.1

ومن أهم مزاياه الإنشائية:

1-براعة الاستهلال:

إن الجاحظ الكاتب المقتدر "يدرك بذوق سليم وعقل واعٍ أن الابتداء دليل على البيان، وأن الأديب إذا ابتدأ كلامه بما يتطير منه أو بما لا يتناسب مع غرضه، فإن ذلك يدعوا إلى نفور السامعين منه وانصرافهم عن أدبه، أما إذا كان الابتداء حسنا بديعا رشيقا لأقبل السامع على الكلام فوعاه ".2

1-من أساتذة اللغة العربية: اللغة العربية من فنون النثر العربي، نشر كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2006/2005، ص138.

2-فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص263.

ومن بعض نماذجه في الاستهلال، نجد رسالته في الجد والهزل التي كتبها إلى محمد بن عبد الملك الزيات:

" جُعِلت فداك، ليس من أجل اختياري النخل على الزرع أقصيتني، ولا على ميل الصدقة دون إعطائي الخراج عاقبتني، ولا لبغضي دفع الإتاوة والرضا بالجزية حرّمتني ".1

ورسالته في فخر السودان على البيضان:

" تولاك الله وحفظك وأسعدك بطاعته، وجعلك من الفائزين برحمته، أعاذك الله من الغش أنك قرأت كتابي في محاكمة الصرحاء للهجناء ورد الهجناء وجواب أخوال الهجناء، وإني لم أذكر فيه شيئا من مفاخر السودان فقد كتبت لك ما حضرني من مفاخرهم "2

فأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود، بأن يكون مطلع الكلام دالا على ما سيقوله المتكلم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة، وهذا ما نلاحظه عند الجاحظ، فنلاحظ أن من بدايات رسائله نفهم الموضوع الذي سيتطرق إليه .

ورسالته في الحاسد والمحسود:

" وهب الله لك السلامة، وأدام لك الكرامة، ورزقك الاستقامة ورفع عنك الندامة، كتبت إليّ –أيّدك الله–تسألني عن الحسد ماهو؟ ومن أين هو؟وما دليله وأفعاله؟ وكيف تعرف أموره وأحواله " 3

1–أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:رسائل الجاحظ، تح عبد السلام هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت،ص 231.

2–أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:مجموعة رسائل الجاحظ، تح محمد أفندي، ط1، مطبعة التقدّم، مصر، دت، ص54.

3–أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:رسائل الجاحظ، ج3،ص3.

ونجد رسالته الساخرة " التربيع والتدوير" و هي رسالة طويلة فكهة ساخرة بليغة، كتبها الجاحظ لكي يسخر من معاصر له، اسمه أحمد بن عبد الوهاب أحد أصحاب الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، و صلة الجاحظ بالوزير ابن الزيات مشهورة معروفة، فقد كان هناك خلاف شديد بين الجاحظ و أحمد بن عبد الوهاب في نطاق ندوة الوزير محمد بن عبد الملك، ومن المعروف أن الجاحظ قبيح الوجه وبشع الصورة، ولكنه فطن ذكي فكه مرح وكاتب حاذق، وإن الرسالة صورة كاريكاتورية ضاحكة لشكل أحمد بن عبد الوهاب وصفاته، ويبدو أن تكوينه الجسمي كان يجمع بين القصر والسمنة والكرش، وهو في نفس الوقت يدعي الرشاقة والجمال الأمر الذي أعطى الجاحظ مفتاح الرسالة وعنوانها فجعلها رسالة التربيع والتدوير.1

وقد استهلها بالسخرية من هذه الشخصية الكاريكاتورية ، يقول:

" كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ويدعي أنه مفرط الطول، وكان مربعا وتحسبه لسعة جفرته، واستفاضة خاصرته مدوّرا، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع، وهو في ذلك يدّعي السّباطة والرّشاقة، وأنه عتيق الوجه أخمص البطن، معتدل القامة، تام العظم... " 2

ويقول في رسالته: " فصل بين العداوة والحسد " " أصحب الله مدّتك السعادة والسّلامة، وقرنها بالعافية والسرور، ووصلها بالنعمة التي لا تزول، والكرامة التي لا تحوّل، هذا كتاب –أطال الله بقاءك–نبيل بارع فُصل فيه بين الحسد والعداوة ".3

فمن هنا نفهم أن الرسالة موضوعها ظاهر وواضح يسهل التعرف على الغرض الذي يرمي إليه، وهذا ما يسمى براعة الاستهلال وكما يراه الجاحظ أنه من دلائل البيان.

1– ينظر :مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993، ص510/509.

2– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع والتدوير، تح شارل بلات، المعهد الفرنسي بدمشق، 1955،ص5.

3– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:رسائل الجاحظ، ص337

2-الافتنان:

الافتنان ظاهر في رسائله المختلفة، التي طرق فيها إلى شتى المواضيع، فيجمع فيها بين الحقائق وشواذ الأعراض وغرائب الأطوار ومستملح النكات و يقرن ذلك بما لا يحصى من الاستشهاد، وهذا ما يدل على سعة اطلاعه.1

ومن بعض الأمثلة التي تدل على تفنن الجاحظ، قوله في رسالته في مدح النبيذ:

" بل كيف أنست بالجلساء، وأرسلت إلى الأطباء ولم يكن في قربك منه ما يغنيك، وفي النظر إليه ما يشفيك، ولِم ملَكت نفسك دون أن تهذى، ولم رأيت الوقار مروءةً قبل أن تستخف، ولم كان الهذيان هو الهذيان، والسخف هو المروءة، والتناقص هو الصّحة، وإلا بأي شيء خُصصت " . 2

ويقول في رسالته التربيع و التدوير:

" والناس و إن قالوا في الحسن: كأنه طاقة ريحان، وكأنه خوط بان، وكأنه قضيب خيزران وكأنه غصن بان، وكأنه رمح رُديني، وكأنه صفيحة يمانية، وكأنه سيف هندواني ..." 3

ويقول أيضا: " فيا قعيد الفلك كيف أمسيت، ويا قوة الهيولى كيف أصبحت، ويا نسر لقمان كيف ظهرت، ويا أقدم من دوس ويا اسنّ من لُبد، ويا صفيّ المشقر، ويا صاحب المسند،حدّثني كيف رأيت الطوفان " . 4

1-ينظر:أنيس المقدسي:تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 175.

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:رسائل الجاحظ، ج3، ص 114.

3-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع و التدوير، ص21.

4-المرجع نفسه:ص25.

3-الاستطراد:

أهم صفة يتحلى بها أسلوبه هي الاستطراد، أي الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر بقصد الترويح عن النفس، وقد كان على علم بما لهذا الأسلوب من تأثير في نفس السامعين ففي كتابه البيان والتبيين مثلا مجموعة من الأقوال المختلفة في البلاغة والخطابة، و ما إلى ذلك من أخبار وشواهد وتراجم ونوادر يكثر فيها التندر والاستطراد، فتجيء متداخلة كثيرة الفروع، كقوله:

" وكانوا يمدحون شدّة العارضة، وقوّة المنة، وظهور الحجة، وثبات الجنان، وكثرة الريق، والعلو على الخصم، ويهجون بخلاف ذلك ".1

فنجد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين لم يعتمد منهجا محدد الأقسام والأجزاء، ولكنه ينتقل فيه من شعر إلى نادرة إلى وصية، فخبر، ويجمع في كتاباته بين علوم البلاغة واللغة، وبين الأدب والتاريخ والمنطق، وهو ما يتخلص في كل ذلك من الاستطراد.3

وقد فسّر المستشرق الفرنسي "شارل بلات" هذه الناحية في منهجية الجاحظ في كتابه عنه بالغة الفرنسية بقوله: " وكان الجاحظ إنسانا تزدحم في صدره المعارف الكثيرة، حتى يستحيل عليه وهو يكتب أن ينتظم في واحدة منها، فيعالج أكثر من موضوع في الموضوع الواحد،ويدعم هذا الاتجاه بحجته المعروفة، أن في عدم التنوع في الكتابة، شيئا يبعث على الضجر والسآمة ".4

1-أنيس المقدسي:تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 17

2-ينظر: كاظم حطيط، أعلام و رواد في الأدب العربي، ص52.

3-ينظر: المرجع نفسه، ص67.

ومن مزايا الاستطراد في رسائله: قوله في رسالة التربيع والتدوير:

" اعلم أن الحسد اسم لما فضل عن المنافسة، كما أن الجبن اسم لما فضل عن التوقي والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والسرف ما جاوز الجود، وأنت –جعلتك فداك– لا تعرف هذا ولو أدخلتك الكور، ونفخت عليك إلى يوم ينفخ في الصور "1

و بقول أيضا:

" و قلت، إن كان الفضل في العدد، فمنا ياجوج ومأجوج، ومنا الذر والفرش، ومن الدعاميص والبعوض، ومنا الرمل والتراب وقطر السحاب " 2

4–الموازنة بين اللفظ والمعنى:

لزم الجاحظ مبدأ الموازنة بين اللفظ والمعنى فقد أعانته خصوبة ألفاظه، وروعة أسلوبه على إكساب معانيه أفضل صيغ الأداء البلاغي ويظهر هذا التوازن في العديد من رسائله منها:

يقول في رسالته في الحاسد والمحسود:

" والحسد أبقاك الله، داء ينهك الجسد، ويفسد الودّ، علاجه عسر، وصاحبه ضجر، وهو باب غامض وأمر متعذّر، وما ظهر منه فلا يداوي، وما بطن منه فمداويه في عناء ".

ويسترسل في حديثه عن حسد الجيران فيقول:

" وذلك أن الجيران طلائع عليك، وعيونهم نواظر إليك، فمتى كنت بينهم معدما فأيسرت فبذلت وأعطيت، وكسوت وأطعمت، وكانوا في مثل حالك فاتّضعوا ، وسُلبو النعمة وأُلبستها ، فعظمت عليهم بلية الحسد ".2

1– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع و التدوير، ص12.

2–المرجع نفسه: ص17.

إن الجاحظ ينادي بضرورة التلاؤم بين اللفظ ومعناه ومطابقة مقتضى الحال يفهمه العامة من الناس ويتأثرون ب كلامه ويشاركونه في التعبير عن عاطفتهم وانفعالاتهم حول الموضوع فالمتكلم ينبغي أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين.

ومن هذه النماذج نجد أن ألفاظه مسترسلة خالية من التعقيد سهلة للفهم والإفهام.

5-التوازن:

لا يحسن منثور الكلام إلا إذا كان مزدوجا، والازدواج هو أحسن وجوه السجع، فهو من المحسنات اللفظية أيضا، بل هو سجع في سجع، حيث تكون ألفاظ الجزأين المزدوجين مسجوعة، فقد نبّه الجاحظ إلى جمال هذا اللون وعمق أثره في تصنيع الأدب.1

ويعد الجاحظ المنظر الأول لأسلوب النثر المزدوج، الذي يقوم على حسن تقطيع العبارات و الموازنة بين المفردات والعبارات والجمل المتقابلة، وقد شاع هذا الأسلوب عند عبد الحميد الكاتب وابن المقفع، وقد بلغ الجاحظ من حلاوة الأداء في هذه المنهجية حدا جعل فيه سائر جمله تتلاحق بأنساق جميلة تتعادل فيها الكلمة بالكلمة، والعبارة بالعبارة.2

وقد عقد الجاحظ بابا كاملا سماه،" باب من مزدوج الكلام" وقد مثّل فيه بقوله صلى الله عليه وسلم في معاوية: " اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب، وقال رجل من بني أسد: مات لشيخ منا ابن فاشتد جزعه عليه، فقام إليه شيخ منا فقال: اصبر يا أبا أمامة، فإنه فرط افترطته، وخير قدّمته، وذخر أحرزته، فقال مجيبا له، ولد دفنته، وتكل تعجلته، وغيب وعدته والله لئن لم أجزع من النقص، لا أفرح بالمزيد " 3

1- ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص257 .

2- ينظر: خليفة أبو بكر الكندور،مظاهر البحث البلاغي في أدب الجاحظ،ص 149.

3- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 116.

ورسالة التربيع والتدوير لا تخلو من توازن العبارات والمرونة والافتنان فيقول:

" ومن غريب ما أعطيت، وبديع ما أوتيت انّا لم نر مقدودا واسع الجفرة غيرك، ولا رشيقا مستفيض الخاصرة سواك، فأنت المديد، وأنت البسيط، وأنت الطويل وأنت المتقارب، فيا شعرا جمع الأعاريض، ويا شخصا جمع الاستدارة والطول " 1

وما يشهد على منهجية الجاحظ في نثره المزدوج تقابل العبارات وملائمة الكلمة بالكلمة في مثل قوله : " إنك لم تعرف الأمور ما لم تعرف أشباهها، ولا عواقبها ما لم تعرف أقدارها، ولن يعرف الحق من يجهل الباطل، ولا يعرف الخطأ من يجهل الصواب، ولا يعرف الموارد من يجهل المصادر، فانظر لما تسالمت النفوس مع تفاوت منازلها، ولما تجاذبت عند تقارب مراتبها ولم اختلف الكثير واتفق القليل " .

ويقول أيضا: " وكيف يعرف السبب من يجهل المسبّب، وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل، بل كيف يعرف الحجة من الشبهة، والنذر من الحيلة " .2

ويقول أيضا عن الحاسد بحيث وصفه بأبشع صفاته : "فهو الكلب الكلِب، والنمر النمِر، والسُّم القشِب، والفحل القطم، والسيل العرم، إن ملَكَ قتل و سبّى، وإن مُلِك عصى وبغى، حياتك موته، وموتك عرسه وسروره، يصدق عليك كل شاهد زور، ويكذب فيك كل عدل مرضى، لا يحب من الناس إلا من يبغضك، ولا يبغض إلا من يحبك، عدوّك بطانةً، وصديقك علانية ".3

وقوله أيضا: " والحسد عقيد الكفر، حليف الباطل، وضد الحق، وحرب البيان ".4

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع و التدوير، ص 13.

2- المرجع نفسه: ص11.

3- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:رسائل الجاحظ، تح عبد السلام هارون، ط1، ج3، دار الجيل، بيروت، 1991، ص18.

4- المرجع نفسه: ص3

المبحث الثالث:بلاغة السخرية عند الجاحظ:

لقد تعقدت الحياة الحضرية بمختلف مظاهرها واتجاهاتها، فبدأ هذا التحول الفني يأخذ شكله منذ بداية العصر العباسي، وأخذ يتجه إلى تكوين مظهره الخاص ونوعيته التي تميّزه، ولعل التطور الحضاري الذي شهدته البيئة العباسية كان السبب الرئيسي في شيوع فن السخرية، فقد ظهرت السخرية كفن واضح في مرحلة التطور الحضاري، وظلت تستقر وتتشكل حسب طبقات الشعراء والأدباء ومستوياتهم وشخصياتهم ومدى علاقة ذواتهم بمجتمعهم وما يعتريه من تغيرات.

مفهوم السخرية:

السخرية ضرب من "التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي، الذي يقوم على أساس الانتقاد للرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية، الفردية منها والجمعية، فالساخر يرصد، ويراقب ما يجري من أخطاء ويستخدم وسائل وأساليب خاصة في التهكم عليها، أو التقليل من قدرها أو جعلها مثيرة للضحك، ويقصد من ورائها محاولة التخلص من بعض الخصال والخصائص السلبية في المجتمع " 1

ويمكن تعريف السخرية بأنها النقد مع الضحك أو التجريح الهازئ، و غرض الساخر هو النقد أولا والإضحاك ثانيا، أي تصوير الإنسان تصويرا مضحكا ويكون إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه، أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية، وكل هذا بطريقة خاصة غير مباشرة.2

1-نزار عبد الله خليل الضمور: السخرية و الفكاهة في النثر العباسي، ط1، دار الحامد، عمان،2012،ص16.

2-ينظر:نعمان محمد أمين طه،السخرية في الأدب العربي، ط1، دار التوفيقية، بالأزهر، 1978،ص14.

ويرى بعض الباحثين أن السخرية هي طريقة من طرق التعبير، يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة، وهي صوره من صور الفكاهة، وإذا أحسن الإنسان استخدامها تكون في يده سلاحا متينا،و يقول آخرون أن السخرية طريقة في التهكم المرير والتندر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفا وإخافة وفتكا.1

أسباب السخرية:

إن الساخر هو ذلك المتعالي بنفسه عن المجتمع الذي يضحك منه أو من أحد أفراده لأسباب قد ترجع إلى حقده على المجتمع، لما يشعر به من نقص خلقي أو حرمان، وقد ترجع إلى عداوة بينه و بين الشخص الذي ينقده لسبب من الأسباب التي تنجم عن الاحتكاك الدائم بين الناس لغرض الانتقام ،وقد تعود إلى تعالي شخص ناقص لا يحس ما فيه من نقص فيضطر الأديب الساخر إلى أن يرده إلى صوابه، ويحاول أن يبحث عن عيوبه فيضخمها ويكبرها ويجعل منها بفنه أداة للضحك، و هذا ما نجده عند الجاحظ في رسالته التربيع والتدوير، بتهكمه المرير وسخريته القاتلة من أحمد بن عبد الوهاب.2

وقد يكون الساخر ناقدا حقيقيا، لديه حساسية لنقائص المجتمع فيسخر بهدف الإصلاح لتكون العملية في قمة العمل الإيجابي منها محاولة تطهير المجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور وتناهض الحركة نحو المستقبل والتخلص من العوامل التي تهدد الحياة بالتوقف.3

1-ينظر: نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي،ص 16.

2-ينظر:نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي،ص 16.

3-ينظر:المرجع السابق، ص 24.

ويمكن تلخيص الدوافع العامة للسخرية في:

- التخفيف من الآلام التي يعاني منها الناس بتأثير الواقع ومشاكل الحياة اليومية التي يشكل تجمعها حالة سلبية لابد من تفريغها والتنفيس عن النفس.
- النقد والإصلاح الاجتماعي للمؤسسات والأفراد، لتصحيح الأخطاء الخارجة عن قيم المجتمع الفكرية والثقافية.
- المساهمة في رفع الروح المعنوية، والثقة بالنفس، بالاستعلاء على الخوف والقلق والمواقف المحرجة والشعور بالتفوق فيما يسمى بالحرب النفسية.
- التحرر من محاصرة القوة الطاغية والسلطة الأكبر، وسيطرة القوانين الجائزة والتفكير الجامد بالإضافة إلى ضغوطات المجتمع . 1

السخرية في العصر العباسي:

كان للحضارة الأجنبية من فارسية وهندية وسريالية تأثير كبير في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي، وكان الأدب مرآة حياتهم، فسرى فيه تيار جديد شمل الأسلوب و المواضيع، بالإضافة إلى رقي العقلية العربية، وكان لكل ذلك أثر كبير في تطور السخرية وشيوعها، و بخاصة في ذلك المجتمع الذي انتشر فيه الترف،والحرية الفضفاضة، ونبذ التقاليد والتحلل من التعاليم السامية، فيها طرب وغناء، سمر ورقص، وعقد مجالس الأنس والفكاهة، وهكذا جاوز مجتمع الجاحظ حدوده، وتعدى مساره الطبيعي فصار موضعا للذم والهزأ وإذا المجتمع كله مهيأ للضحك والإضحاك، باعث إلى التهكم والسخرية. 2

وقد مالت السخرية في هذا العصر إلى الأسلوب البعيد عن الجزالة والرصانة، أسلوب قريب مما يلهج به الناس في أحاديثهم، والبساطة سواء في المعاني أو الألفاظ أو الصياغة. 3

.

2-ينظر:عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، ص 26.

3-ينظر:نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، ص 112.

وكان لتعدد الفرق الدينية والمذاهب، كما تعددت المدارس وكان لكل مدرسة طابعها وطريقة تفكيرها، فإنه كان من المحتم أن تتعارك وتتصارع وينتصر كل فريق لرأيه، ومدرسته، ومذهبه فيشيع الهجاء وتنتشر السخرية ويكثر الهمز واللمز.1

وقد ظهرت في العصر العباسي "مؤلفات وكتب تضمنت أدب الفكاهة و السخرية، حيث احتوى بعض هذه المصادر الأدبية مواد عديدة متنوعة، لكنه سجل أبوابا خاصة للفكاهة من بينها وكتبا أخرى أفردت كاملة مستقلة لهذا الفن وحده، وبعضها كان ينثرها نثرا في ثنايا الكتاب ليروّح بها عن القارئ، ويشير بمنهجه بأنه يخلط الجد بالهزل ليشوق القارئ، ويزيل عنه السأم ومن هذه المؤلفات، كتب ابن المقفع، عيون ابن قتيبة، نوادر أبي العيناء، كتب الجاحظ ". 2

براعة التصوير الساخر عند الجاحظ:

كانت السخرية فيما سبق تأتي عفوية تارة ومقصودة لغرض من الأغراض السياسية تارة أخرى، دون أن تقوم بالتفاصيل النابضة بالحياة تحليلا وتصويرا وتشخيصا، ولم تقم بالتحليل النفسي الدقيق الذي ينم عن عمق التجربة، فقد كان الجاحظ في كتابه "البخلاء" دقيقا في تصويره، بارعا في وصفه، ساخرا مع شخصياته، داعيا إلى الضحك والمزاح ، وقد دافع عن الضحك وبيّن آثاره و فوائده وقرر انه غريزة ذات قيمة للنفس والجسم ، كما ذكر أن البكاء يفسد الدماغ وقد يورث العمى.3

استهل الجاحظ مقدّمة كتابه "البخلاء" بقوله:" وستجد في هذا الكتاب ثلاثة أشياء تتبين حججهم الطريفة التي قد تبعث على الضحك، أو تستفيد منه النوادر العجيبة، وفي أقل فوائده أنك تضحك مما جاء فيه، وتلهو بقراءة أخبار هؤلاء إذا مللت " 4

1- ينظر:عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، ص29.

2-نزار عبد الله خليل الضمور:السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص40.

3-ينظر: المرجع السابق، ص93/92.

4-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:البخلاء، ص31.

وقد اثبت الجاحظ فضل الضحك وفائدته في قوله: " وإن كنا قد أمللنا بالجد وبالاحتجاجات الصحيحة المروّجة، لتكثر الخواطر وتشحذ العقول، فإنا سننشطك ببعض البطالات وبذكر العلل الظريفة والاحتجاجات الغريبة، فرب شعر بفَرْطِ غباوة صاحبه من السرور والضحك والاستطراف، ما لا يبلغه حشد أحرّ النوادر، وأجمع المعاني "1

كان كتاب البخلاء مظهرا من مظاهر النزعة الأدبية الجياشة القويّة الحس، السريعة الاستجابة، أخذ الجاحظ هذا الموضوع فجعله موضوعا أدبيا خالصا، و متعة فنية ولأن الجاحظ مرح طروب بطبيعته فقد سرت روح السخرية في كتابه و رصعه بغرر من دعاباته وطرائفه، فقد جاء الكتاب صورة مركزة لما كان يسود في مجتمعه فقد تحدث عن طوائف المتسولين والمشعوذين والشطار والصيادين فالبحارة، كما تحدث عن مدى الصراع الشعوبي الغربي بين سهل بن هارون في رسالته حول التوفير، والابتعاد عن التبذير، أو البخل بحد ذاته، مثيرا الضحك والابتسام والأسى على ما يعتري الطبيعة البشرية من نقص. 2

ولم يكن قصد الجاحظ في كتابه البخلاء أن يقدم "مسرحية أو قصة أو رواية، و لكنه شاء أن ينتقد و يتهكم ويضحك ويطارد القبح والشر ويشيع الخير وما هو يخطئ في ذلك هدفه، وما كان لكتاب البخلاء أن يرقى غلى مستوى الزيادة في عصره وبيئته، وإن له في معطياته الأدبية والفنية المتجددة حظا في الاستمرار والخلود فهي تجسد معالم أو ملامح من الأدب الواقعي العالمي".3

ومن الأنماط الجميلة أيضا التي حفلت بسخريات الجاحظ الهجائية الملفوفة بثياب المدح : رسالة التربيع و التدوير، التي أظهرت قدرة الجاحظ الفائقة على التصوير الفني و براعته في التلوين و رشاقته في التكوين.

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:الحيوان،ج3، ص 5.

2-:عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ،ص100.

3-كاظم حطيط: أعلام و رواد في الأدب العربي، ص 60.

عوامل نبوغ الجاحظ في الأدب الساخر:

تحلّى الجاحظ بنفسية مرحة غطّى بها على منظره وملامحه، وكان عاشقا للنادرة اللطيفة حتى لو كانت على نفسه، ومن عوامل نبوغه في الأدب الساخر:

1/الوراثة: كان جد الجاحظ أسود و يقال له "فرازة" و كان فكها مرحا فسرت روح الخفة إليه إلى حفيده، كما أن أمه كان فيها ميل واضح إلى السخرية، فقد روى أن الجاحظ كان في حداثته مشتغلا بالعلم فطلب منها الطعام يوما فجاءته بطبق فيها كراريس، فقال ما هذا ، قالت هذا الذي تجئ به، فالميل إلى المرح والفكاهة والسخرية لدى الجاحظ، يرجع في جانب منه إلى الوراثة. 1

2/المجتمع والبيئة: نشأ الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان، وكان يتردد على كتّاب القرية يتلقى مبادئ العلوم مع أمثاله من الصبيان، فهذان المجتمعان يحفلان بالنوادر والطرائف، وفي مجتمعه ظهرت طبقات البخلاء والحمقى والمغفلين والشطار والمتعلمين، فسرت فيه روح الخفة والتهكم قد كان هذا المجتمع حافلاً بالمتناقضات مليئاً بالمخالفات، وكان على الجاحظ أن يقاوم أثناء مكثه في بغداد تياراً عاماً من الجد والكآبة والصرامة، وهذا ما يعلل إشاراته العديدة إلى فوائد الضحك.2

3-التكوين الشخصي:نجد أن ملامح الجاحظ الخلقية تميزت بالظرف والفكاهة، وكأنها سجية طبع عليها، وشكّلت نظرته التفاؤلية للحياة فكان يبدو عليه السرور دائما، وأثّرت في إنتاجه أيّما تأثير، فعُرف بحب الدعابة، وخفة الروح، سريع النكتة، وسخريته ناعمة مقبولة.3

1-ينظر:عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ،ص132.

2-ينظر:المرجع نفسه،ص133.

3-ينظر نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي،ص 81.

كما أن لمنظر الإنسان وقوامه أثرا في شخصيته، فقد كان الجاحظ ذميم الخلقة، قصير القامة، صغير الرأس، دقيق العنق، صغير الأذنين، فإن لنظره هذا أثر في شخصيته فالرجل الصحيح الجسم قد لا يحتاج إلى إظهار شخصيته، وإنما حينما يحس الإنسان بنقص من الناحية العقلية أو الخلقية فإنما يحاول أن يكمل النقص الذي فيه، وهكذا كان الجاحظ أديبا بارعا في الاستدلال والتعليل، حتى أنه استطاع أن يجعل الجميل الوسيم قردا والبدر المنير قطعة من الفحم .1

موضوعات السخرية في أدب الجاحظ:

لقد أورد الجاحظ من النوادر الإمتاعية في كتبه المتنوعة في البيان والتبيين والبخلاء ما يقف الخاطر أمامها باسما ضاحكا نافضا أسباب الهموم والمتاعب، فقد أتي بمجموعة كبيرة من أخبار النوكى والحمقى والموسوسين والأغبياء، قصّها بأسلوبه السهل الجذاب وأفاض عليها من روحه الفكهة.2 ،وتعد رسالة التربيع والتدوير خير نموذج على سخريته وتهكمه القاتل، فمن الموضوعات التي تناولها في هذه الرسالة :

1-العيوب الجسمية والمظهرية:

هي من أهم موضوعات السخرية لدى الكتّاب والشعراء وصفا وتهكما فتاكا بزي مخالف والبذة الشاذة، والسمت الغريب، مما يختاره الإنسان وينتقيه ويستطيع تغييره وتبديله.3 يقول:

" أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك وكرامته لك، قد علِمتُ حفظك الله-أنك لا تحسد على شيء، حسدك على حسن القامة، وضِخم الهامة، وعلى حور العين وجودة القد، وعلى طيب الأحدوثة، والصنيعة المشكورة، وأن هذه الأمور هي خصائصك ". 4

1- ينظر:عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، ص139.

2- ينظر:مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص 504.

3-ينظر: المرجع السابق، ص144.

4-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع والتدوير،ص 10.

ويقول أيضا في ذكر عيوب أحمد بن عبد الوهاب:

" وكان طويل المظهر، قصير عظم الفخذ، وهو مع قصر عظم ساقه، يدّعي أنه طويل الباد رفيع العماد، عادي القامة، عظيم الهامة، قد أعطى البسطة في الجسم والسعة في العلم وكان كبير السن متقادم الميلاد، وهو يدّعي أنه معتدل الشباب حديث الميلاد " 1

ويمضي الجاحظ في استرسال فكه ساخر لا يخلو من جدل وتلاعب بالألفاظ والمعاني في وصف عيوب أحمد بن عبد الوهاب يقول:

" ولم يكن إلا أنا لا نستطيع أن نقول في الجملة وعند الوصف والمدحة: هو أحسن من القمر وأضوأ من الشمس وأبهى من الغيث... كأن عنقه إبريق وكأن قدمه لسان حيّة وكأن عينه ماوية، وكأن بطنه قبطية، وكأن لسانه ورقة، وكأن أنفه حدّ سيف، وكأن حاجبه خط بقلم، وكأن لونه الذهب، وكأن عوارضه البرد، وكأن فاه خاتم، وكان جبينه هلال، ولهو أطهر من الماء وأرق طباعا من الهواء، ولهو أمضى من السيل، وأهدى من النجم، لكان في ذلك البرهان النيّر والدليل البيّن، وكيف لا يكون كذلك وأنت الغاية في كل فضل، والنهاية في كل شكل ".2

2-الجد يراد به الهزل:

ونجد هذا النوع خاصة في رسالته إلى أحمد بن عبد الوهاب، فقد يتحدث إليه بطريقة جدية لكن مراده الهزل والسخرية منه، فصورته التجميل وحقيقته التقبيح.

يقول الجاحظ: " وقد أطال الله بقاءك-في الطول زاهدا وعن القصر راغبا، وكنت أمدح المربوع وأحمد الاعتدال، ولا والله أن يقوم خير الاعتدال بشر قصر العمر ولا جمال المربوع بما يفوت من منفعة العلم، أما اليوم فيا ليتني كنت اقصر منك وأضوى ، وأقل منك وأوهى " 3

1-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع والتدوير، ص5.

2-المرجع نفسه ،ص57.

3-المرجع نفسه، ص32.

ويضيف: " وليس دعائي لك بطول البقاء طلب للزيادة، ولكن من جهة التعبد والاستكانة، فإذا سمعتني أقول" أطال الله بقاءك" فهذا المعنى أريد، وإذا رأيتني أقول "لا أخلى الله مكانك" فإلى هذا المعنى أذهب "1

3-التّلاعب:

كان تلاعب الجاحظ باعثا على انشراح النفس وبهجتها، ودالا على مهارته، فقد جعل الجاحظ من أحمد بن عبد الوهاب أضحوكة يتلاعب به كما أراد،يقول عنه: " وفيك أمران غريبان وشاهدان بديعان: جواز الكون والفساد عليك، وتعاور النقصان والزيادة إليك، فجوهرك فلكي وتركيبك أرضي، ففيك طول البقاء ومعك دليل الفناء، فأنت علّة للمتضاد وسبب للمتنافي وما ضنّك بخلق لا تضره الإحالة ولا يفسده التناقص ". 2

3-الإفحام بالأسئلة:

يتوجه الجاحظ إلى أحمد بن عبد الوهاب بأسئلة كثيرة ، لكن الجاحظ لا يهم جوابه و لا يعنيه الرجوع على كتبه ليلتمس الإجابة، وليس الغرض إزاحة غياهب جهله، وإنما وكده الزراية بعقله وعلمه، ووصفه في إطار قاتم من البلادة والبلاهة، وجعله مشوّها وصورة بالغة السخرية لمن يدّعي العلم ولا علم لديه، ولمن يغامر بذكائه وعقله وهو بليد غبي.3 ومن الأسئلة التي وجّهها إليه:

" وخبّرني-أبقاك الله-من كان باني ريام، ومن انشأ كعبة نجران، ومن صاحب غمدان... "

" وخبّرني عن عظامة أقاليم الخراب ، وعن خلاء شق الجنوب... "4

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع والتدوير، ص32.

2-المرجع نفسه، ص33.

3-عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ،ص228.

4-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع والتدوير، ص 37/36.

وتساؤله أيضا:

" وما تقول في صرع الشيطان، وفي وتلوين الغيلان، وعزيف الجنان..."

" ولِم خالف النيل جميع الأودية في النقصان والزيادة، ولِم بلغت جِريته الشمال، ولِم صار أقصاه كأدناه، ومتى يُدال منه ومتى يحوّله الإمام. 1

4-الكذب والإدّعاء:

يجعل الجاحظ من هذه الصفة أهمية في تشويه صاحبه، فمن أقبح الصفات إدعاءالمعرفة والتكبر والمفاحرة، ولكن الحقيقة هي العكس، وهذا ما جعل من أسلوب الهزل والهزء يتضاعف عند الجاحظ.

ويقول في ادّعاء احمد بن عبد الوهاب:

" كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر، ويدّعي أنه مفرط الطول، وكان مربعا تحسبه لسعة جفرته، واستفاضة خاصرته مدوّرا، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع فهو في ذلك يدّعي السباطة والرشاقة...وهو مع قصر ساقه، يدّعي أنه طويل الباد رفيع العماد...متقادم الميلاد وهو يدّعي أنه معتدل الشباب. 2

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع والتدوير،ص 44/40.

2-المرجع نفسه، ص5.

إن سخرية الجاحظ وسماتها الفنية وخاصة في رسالة التربيع والتدوير تتفرد ببعض الميزات كانثيال الفكاهة وتوالي المرح غير المفتعل ولا المتعمد في غير ما برم من القارئ، ولا استثقال من السامع ، بالإضافة إلى سعة ثقافته وإلمامه بفنون عديدة من المعرفة وألوان متشبعة من الثقافة يستعين بها في حبك موضوعاته، ومنه كثرة الترادف بين الجمل والمعاني الأمر الذي يثبت الرأي حول الجاحظ بأنه آخذ بأسباب العربية، وحسن التصرف في القول مبدع في الإنشاء دونما تكلف أو اصطناع، والعمد إلى كل أسباب الصنعة البديعية في زمن لم يكن البديع بمعناه، وإن هذا طراز فريد لأدب الفكاهة والتهكم والسخرية، مع فيض في المعاني وثراء في الترادف ويسر في الأسلوب وسهولة في التعبير وتلوين في الصور لا يقدر عليها إلا كاتب فنان متمكن مثل الجاحظ. 2

وهكذا كانت رسالة التربيع والتدوير ميدانا فسيحا للتصوير الساخر، والاستهزاء تناول فيها الجاحظ شخصية ابن عبد الوهاب فمسحها وسخر منها وتلاعب بها، إذ صوّره بأبشع الصفات بذكر عيوبه من قبح وحمق وجهل وجعل منه أضحوكة وصورة جميلة للساخرين،وكل هذا يبين براعة الجاحظ في هذا الفن وتفننه وبلاغته في ترسله.

1-ينظر:مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص516-517.

خاتمة

ختاما يتضح لنا من خلال هذا البحث، أن الجاحظ قد عاش في مجتمعه بعين الخبير والناقد الفذّ، وبفكر الجكيم الفيلسوف في حقبة من الزمن قاربت القرن، تمّ من خلالها للدولة الإسلامية الاستقرار والازدهار والتوسّع، فنهضت فيها العلوم والفنون والترجمة والتدوين، واثبت فيها الجاحظ عربيته الأصيلة وقدراته الفنية في الكتابة والتأليف، فتناول كل فن ومارس كل علم عُرف في زمانه، فهو راوية متكلم، كاتب مصنّف مترسّل، عالم بالحيوان والنبات والموات واصف لأحوال الناس ووجوه معايشهم واضطرابهم واخلاقهم وحيلهم على حدّ تعبير ناقل اخباره "ياقوت الحموي" في معجم الأدباء.

ومن بعض النتائج التي توصّلت إليها في هذا البحث مايلي:

1/أن نثر الجاحظ يعد نمطا جديدا في النثر الفني العربي، في أسلوبه وأفكاره وألفاظه ومعانيه ومنهجه وموضوعاته، باعتباره نقطة تحوّل في تطوّر النثر العربي.

2/أن رسائل الجاحظ تطابق الضوابط والمقاييس والمزايا التي وضعها في كتبه عن البلاغة.

3/كان للجاحظ طريقة خاصة في الكتابة بحيث أصبحت مدرسة تقوم على العديد من القواعد منها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، البيان وضوح الدلالة، الايجاز، الاستطراد، التوازن بالإضافة إلى العناية بالألفاظ وتركيب العبارات والجمل، والموازنة بين اللفظ والمعنى.

4/أن الجاحظ رُزق بأسلوب متميز لصدقه وواقعيته وتوافقه بين اللفظ والمعنى، لذلك استحق أن يوصف بأنه المعلّم الأول في الإنشاء العربي.

5/ لم يكتمل للسخرية شكلها الفي إلاّ على يدي الجاحظ، إذ كانت السخرية قبله نتفا مبعثرة، ونوادر تروى، وحكايات طريفة تُقص.

6/كان الجاحظ أديبا ساخرا، ولكن لم يكن الباعث على السخرية عنده مجرد التجريح والايجاع بل كان هدفه التقويم، ودفع الملل عن النفوس والسآمة عن القلوب.

7/أدب الجاحظ وسخريته من أمتع صور التحليل النفسي الدقيق التي تعتمد على دقّة الملاحظة ونفاذ البصيرة وعمق التجربة، والتي يمزج فيها الحقيقة الجافة بالهزل والمرح.

8/امتازت كتابات الجاحظ بالواقعية، التي صوّر بها عصره بما فيه من جد وهزل، هذا ما يفسّر خلو كتاباته من التكلّف والتشبيهات والاستعارات.

قائمة المصادر والمراجع:

أ/القرآن الكريم.

ب/الكتب:

1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البخلاء، تح نزار عابدين، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012.

2-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، ج4، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.

3-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: التربيع والتدوير، تح شارل بلات، المعهد الفرنسي، دمشق،1955.

4- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح عبد السلام محمد هارون، ج1، ط2، مطبعة المصطفى البابي، مصر،1965.

5- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: مجموعة رسائل الجاحظ، تح، محمد أفندي، ط1، مطبعة التقدّم، مصر، دت.

6-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تح، عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.

7-أبو السعود سلامة، ورمضان خميس القسطاوي: الأدب العربي في مختلف العصور، دار العلم والإيمان، جامعة الأزهر، 2008.

8-أنيس المقديسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

9-أحمد حسين الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، دت.

10-بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

11-جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

12-حسن السندوسي: أدب الجاحظ، ط1، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1931.
13-رحاب خضر عكاوي: المنتخب من رسائل الجاحظ، دار الفكر العربي، بيروت، 1996.
14-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ج2، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1976.
15-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ط8، ج3، دار المعارف، دت.
16- عبد الحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، ط1، الدار الجماهيرية للنشر، بيروت، 1988.
17- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.
18-عبد الله التطاوي: الجدل والقص في النثر العباسي، دار الثقافة، القاهرة، 1988.
19-علي جميل مهنا: الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط1 بيروت، 1981.
20- عمر عروة : النثر الفني أبرز فنونه وأعلامه، دط، دار القصبة للنشر، دت.
21-عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ط4، ج1، دار العلم للملايين، بيروت،1981.
22-فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2005.
23-فوزي عطوي: الجاحظ ودائرة معارف عصره، ط2، دار الفكر العربي، بيروت، 1998.
24-كاظم حطيط: أعلام ورواد في الأدب العربي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1987.
25- محمد سعد القزاز: الفكر التربوي في كتابات الجاحظ، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1995.
26- محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت، 1998.

27-محمد مصطفى منصور: صور من النثر الفني في العصر العباسي، دار غريب، القاهرة، دت.

28-مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في العصر العباسي، ط1، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008.

29-مصطفى الشكعة: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، 1993.

30- من أساتذة اللغة العربية: اللغة العربية من فنون النثر العربي، جامعة القاهرة، 2006/2005.

31-مي يوسف خليف:النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دار قباء، القاهرة، دت.

32-نزار عبد الله خليل الضمور: السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ط1، دار الحامد، عمان، 2012.

33-نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، ط1، دار التوفيقية، الأزهر، 1978.

ج/المقالات:

1-خليفة أبو بكر الكندور: مظاهر البحث البلاغي في أدب الجاحظ، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، ع1، م1، دار الثقافة، المرج، 2013.

2-رضوان باغباتي: تطور النثر العربي، مجلّة الألوكة، إيران، 2009.

3-نسرين طاهر ملك: النثر الجاهلي والإسلامي والأموي،"دراسة تحليلية" مجلة أيكتا إسلاميكا، م1، ع1، 2014.

د/الرسائل الجامعية:

1-ليلى جغام: الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013.

فهرس:

مقدّمة:.....5

مدخل

حياة الجاحظ وتأليفه.....8

الفصل الأوّل: الكتابة الإنشائية عند العرب

المبحث الأوّل: الكتابة الإنشائية في صدر الإسلام.....15

أ-الخطابة.....17

ب-الكتابة.....18

ج-اللغة والإنشاء في صدر الإسلام.....17

د-خصائص أسلوب الرسائل في عصر صدر الإسلام.....22

الكتابة الإنشائية في العصر الأموي.....25

أ-عوامل ازدهار فنون النثر في العصر الأموي.....25

1-الكتابة.....25

2-الخطابة.....29

ب-المزايا الإنشائية العامة في العصر الأموي.....30

ج-أبرز خصائص فن الترسل في العصر الأموي.....32

المبحث الثاني: الكتابة الإنشائية في العصر العباسي.....33

أ-مميزات وخصائص العصر العباسي.....34

ب-فنون النثر العباسي.....39

1-الخطابة.....39

2-فن المقامات.....40

3-فن التّرسل.....41

ج-أساليب التّرسل في العصر العباسي.....43

المبحث الثالث:المذهب النظري للجاحظ في بلاغة الإنشاء.....45

أ-مطابقة العبارة.....45

ب-البيان و وضوح الدلالة.....46

ج-الإيجاز وعدم التكلف.....47

د-البعد عن الإطناب.....48

الفصل الثاني: الكتابة الإنشائية عند الجاحظ

المبحث الأوّل: خصائص الإنشاء الجاحظي:.....51

المبحث الثاني: ترسل الجاحظ وفنّياته.....55

أ-براعة الاستهلال.....55

ب-الافتتان.....58

ج-الاستطراد.....59

د-الموازنة بين اللفظ والمعنى.....60

هـ-التوازن.....61

المبحث الثالث:بلاغة السخرية عند الجاحظ.....63

أ-مفهوم السخرية.....63

ب-أسباب السخرية.....64

ج-عوامل نبوغ الجاحظ في الأدب السّاخر.....68

د-موضوعات السخرية في أدب الجاحظ.....69

1-العيوب الجسمية والمظهرية.....69

2-الجد يراد به الهزل.....70

3-التّلاعب.....71

4-الإفحام بالأسئلة.....71

5-الكذب والإدّعاء.....72

خاتمة:.....75

قائمة المصادر والمراجع:

الفهرس: